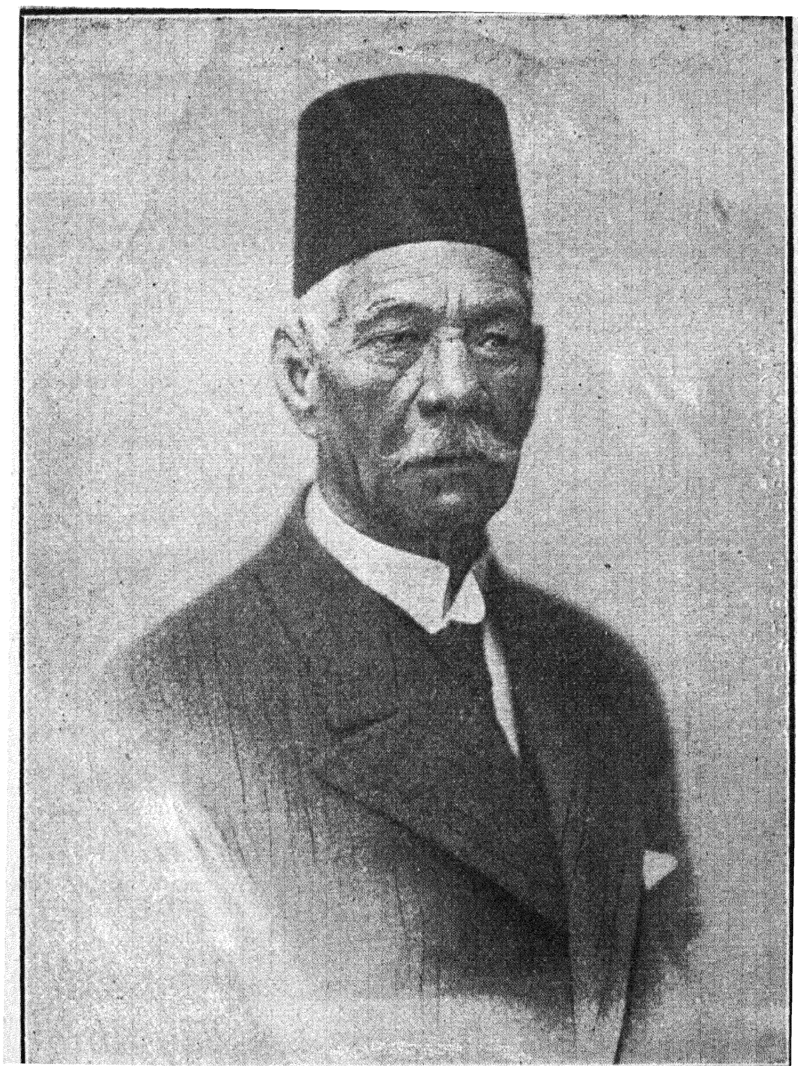
مجموعة خطب

سعد باشا زغلول الحديثة



سِفرٌ حَوَى خُطَباً غرًّا يحقُّ لهَا | ان يكتبوهـا على لوحٍ من الذَّهَبِ
لأنَّ قائِلها مِنْ خيْرِ مَنْ عَبِقتْ | بذكرهِ أَلسُنُ الاقـلامِ والـكُتُبِ
اقوالُ «سعدرئيس الأُمَّةِ» ازْدهرَتْ | أنوارُ أقمارها في هـذهِ الخُطَبِ

اسعد خليل داغر



آخر رسم للرئيس الجليل سعد باشا زغلول

مجموعة خطب

سعد باشا زغلول الحديثة

وتهاني الشعراء بمقدمه من المنفي الاخير

﴿ مع مقدمة في الوطنية ونبذة عن تاريخ حياة معاليه ﴾



الجامعها

محمود فؤاد

﴿ عني بنشرها ﴾

يوسف توما البستاني

(صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر)

(طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر)

١٩٢٤

الاهداء

إلى الزعيم الجليل . والرئيس المحبوب ، بطل مصر الاوحد ، سعد باشا زغلول ، أقدم هذا الكتاب ، اعترافاً بتعلق الامة جميعها بشخصيتكم ، وتمسكها بمبادئكم السامية .

فتقبل مني يا صاحب المعالي هذه الهدية الصغيرة ، ثمار اخلاصي ، وتقديري لمكانتكم وبطولتكم ، وفقكم الله إلى صالح الاعمال ، واعمال الصلاح ، بكل ما يعود على امتنا المصرية بالخير ، انه سميع مجيب

محمود فؤاد



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الوطنية هي حب الانسان لبلاده ، ارض آبائه وأجداده ، وانما نحب وطننا لما بيننا وبينه من الصلات المتينة ، فقد تربينا في جوه وبين قومه ، وصرنا منه بمنزلة الفرع من الشجرة ، كون هواؤه وتربته اجسامنا ، وصارت قوانينه وعرفه عاداتنا ، وأصبحت طريقة اهله في مأكلهم وملبسهم وكلامهم طريقتنا ، نحن اليه إذا نزحنا عنه ، ويهيج اشجاننا اليه ذكرانا له ، ونأنس بقربه ، ونعتز بعزته ، ونألم لهوانه

على ان حب الوطن يكاد يكون طبيعياً في كل انسان ، حتى لنرى بعض الحيوانات تحن الى اوطانها كما تحن الطيور الى اوكارها

ولقد ينشأ البدوي في بلد جدب ، ومكان قفر ، وهو مع ذلك يسعد بوطنه ويقنع به ويفضله على كل مصر

ويكون حب الوطن عند اكثر الناس في حالة كمون ، الى ان يدهم وطنهم خطر ، او توجد دواع تنبههم ، فتتنبه مشاعرهم ، ويظهر حبهم لوطنهم بأجلى مظاهره ، ويدعوهم للعمل على خدمته ، فيبذلون نفوسهم وأموالهم في سبيل نصرته ، والذود عن مجده وحريته

وليست خدمة الوطن قاصرة على العظماء ، بل ان العظماء لا يكون لهم أثر كبيرما لم تؤيدهم الامة ،فالقائد الكبير انما فخره نتيجة عمله وعمل الجنود الصغار ، بل وعمل من صنع للجنود نعالهم وملابسهم ونحو ذلك ، والسياسي العظيم لا يصل الى غرضه الا بمعونة كتاب يعينونه في فروع من العمل مختلفة ، وافراد يبذلون ما يحتاج اليه من مال ، وامة تلبي بأجمعها نداءه ، وتسير في الطريق التي يخطه لها

الامة كالساعة ، كل آلة لها عمل ، ولا بد من اداء كل آلة عملها لينتظم سيرها وان كان يختلف عمل الآلات اهمية ، وسير هذه الآلات وانتظامها لا تقع عليه العين عادة ، وانما مظهر هذا الانتظام سير العقارب ، فاذا دلت على الاوقات بالضبط دلنا ذلك على اداء كل آلة وظيفتها والا فلا ، كذلك الحوادث العظيمة في الامة ، والنجاح الكبير لها ، مظهره عظماء الرجال وقواد الجيش، ولكن ماكان يتم ذلك في الحقيقة لولا اعمال آلاف من الناس لم يعرفهم التاريخ ، فهؤلاء الآلاف منزلتهم آلات الساعة الخفية ، والعظماء بمنزلة عقربي الساعة ، هما مظهران لاعمال عديدة دقيقة ، غير ان الشأن في الساعة انه اذا تعطلت آلة منها وقفت الساعة جميعاً . اما في الامة فاذا تعطل احد افرادها عن السير ، حملت الامة عبئه وسارت، فالجندي في الجيش اذا خر صريعاً ، سار الجيش وتحمل عبء الجندي ، وكان الاولى للجيش ، الا يخر احد منه صريعاً ، وأن يتحمل كل واحد عبئه فقط

فالفلاح في زرع أرضه ، وعنايته بالبقر والغنم ، والنجار في صناعته ، والتاجر ببيعه وشرائه ، والجندي بمحاربته ، والكناس في الشارع يكنس الاقذار ويبعدها ، والام تربي بنيها وتعني بالبيت وشئونه ، والخادم بخدمتها ، والأطباء بمحاربتهم الامراض ، ومعالجتهم المرضى ، ورجال الحريق بأطفائهم النار ، ورجال العلم الذين ينشرون العلم ويحاربون الجهل ، والأدباء انصار الفضيلة واعداء الرذيلة ، ورجال السياسة الذين ينصرون

الحق ويخذلون الباطل ، بأقوالهم وأعمالهم ، والشعراء والموسيقيون وجميع رجال الفن الذين يعدون الحياة بالسعادة ، ويشعرون الناس بالجمال ، كل هؤلاء يخدمون وطنهم بعملهم ، وكل هذه الاعمال لا بد منها لسير الامة إلى الأمام ، وكل هؤلاء إذا ادوا اعمالهم باتقان ، ولم يراعوا فيها مصلحتهم الشخصية فحسب بل راعوا فيها خيرهم وخير الناس فهم وطنيون صادقون ، يفخر الوطن بهم ، ويشرف بعملهم »

محمود فؤاد

نبذة تاريخية

عن حياة سعد باشا زغلول

ولد سعد باشا زغلول في بلدة ابيانة مركز فوه بمديرية الغربية في سنة ١٨٦٠ ميلادية ، ولما بلغ السابعة من عمره دخل مكتب البلد وظل فيه خمس سنين يتعلم القراءة والكتابة ، ثم سافر إلى دسوق لتجويد القرآن ، وبعدها جاء إلى القاهرة بقصد الالتحاق بالازهر الشريف ، فمكث فيه خمس سنوات تلقى فيها مختلف العلوم على افاضل العلماء . ولما ارتفع صيته عين محرراً بالوقائع المصرية سنة ١٨٨١ مع المرحوم الشيخ محمد عبده الذي كان رئيس تحريرها .

ولقد كان سعد باشا ينشر الرسائل بنصها ثم ينبه عن الخطأ الذي فيها ، وكان يكتب مقالات اخلاقية ووطنية كثيرة . ثم عين بعد ذلك معاوناً في وزارة الداخلية سنة ١٨٨٣ فناظراً لقلم قضايا الجيزة . ولم يمكث في مركزه هذا إلا بضعة اسابيع حتى قامت الثورة العرابية ، فاتهم انه من اشياع الشيخ محمد عبده ففصل من وظيفته واتهم ثانياً بالاشتراك في جمعية سرية باسم

جمعية الانتقام ، ولكن إدانته لم تثبت بعد التحقيق ، وفي سنة ١٨٨٤ اشتغل محامياً فنهض بالمحاماة ، ورفع من قيمتها فكان بها خير نصير المظلومين

وفي أثناء ذلك تعلم اللغة الافرنسية ، وفي سنة ١٨٩٢ اختارته محكمة الاستئناف مستشاراً

ولما كانت مسألة الكفاءات بغير الشهادات امراً مشكوكا فيه تقدم سعد باشا للامتحان بالفرنسية في القوانين وحصل على شهادة الليسانس وهو قاض في محكمة الاستئناف . وفي سنة ١٩٠٧ عين وزيراً للمعارف ثم تولى منصب وزارة الحقانية

وبسقوط وزارة محمد سعيد باشا سنة ١٩١٣ اعتزل خدمة الحكومة وانتخب وكيلا للجمعية التشريعية عن الامة فكانت حياته النيابية مبدأ عصر جديد حيث كان لسان حال الجمعية العمومية. ولكن لم يطل امد الجمعية التشريعية اثر نشوب الحرب العظمى، واعلان الاحكام العرفية في القطر المصري

ولم تكد تعقد الهدنة على شروط ولسن حتى هب سعد باشا وشمر عن ساعد الجد وذهب الى دار الحماية في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وبصحبته علي شعراوي باشا وعبد العزيز فهمي بك كوفد عن الامة برياسة الزعيم الاول لتبليغ الحكومة الانجليزية مطالب الشعب المصري وأمانيه ، وطلب التصريح لهم بالسفر الى اوروبا لحل المسألة المصرية ، فرفضت الحكومة الانجليزية السماح له بالسفر فخرج هو ورفاقه مغضباً ، فتوالت الاحتجاجات وكثرت الاجتماعات على أثر ذلك ، فصدر الامر في ٨ مارس سنة ١٩١٩ بنفي معالي سعد باشا ورفاقه الى مالطة ، فقامت المظاهرات والقلاقل المعروفة في البلاد ، الى ان افرج عنهم في ٧ ابريل سنة ١٩١٩ فسافر سعد باشا هو ومن كان معه الى باريس باسم الوفد المصري للعمل على تخليص البلاد من النير الاجنبي ، وهناك وجد سياسة الجفاء ، ووجوه الانكار والاغضاء ، ولكن

لم يتسرب اليأس الى قلبه رغم شيخوخته وكبر سنه ، فنشر الدعوة في اوروبا وأمريكا بين احرار الامم والصحف الافرنكية

ازعج ذلك انكلترا وأقلقها ، فمدت اليه يدها تصافحه وأرسلت اليه تدعوه الى لندن للاتفاق معه ، فسافر واستقبل هناك استقبالا عظيما ،فواصل سعيه حتى اجتمع بلجنة ملنر التي كان نصيبها المقاطعة من المصريين — وقف سعد باشا امام لجنة ملنر ، ذلك الخصم السياسي الكبير ، وحوله اعضاء الوفد يفاوض ساسة الانجليز ويفاوضونه ، فدخلوا به في باب المخادعة والمراوغة ، ولكن سعد باشا انتصر عليهم بعقله الراجح وذكائه النادر ومهارته الفائقة

قطع باب المفاوضة حيث لم يجد هناك املا في الاتفاق وعاد ثانية الى باريس مع اعضاء الوفد لتجديد دعوته ونشر مطالبه ، وفي هذه الاثناء تشكلت وزارة عدلي باشا ونشر برنامجها المعلوم ووعدت بأنها تسير على ارادة الوفد ، ورغبات الامة ، وأرسلت الى سعد باشا فحضر الى مصر واستقبلته الامة استقبالا عظيما واحتفلت بمقدمه فرفعت الاعلام ونثرت الازهار والرياحين ونصبت اقواس النصر في الطرقات الموصلة الى داره وزينتها بالثريات الكهربائية واشتركت معها الجاليات الاجنبية فأصبح موضع اعجاب الامم والشعوب وترنمت الامة بمديحه والثناء عليه بأناشيد الوطنية والالحان الحماسية ونظم فيه الشعراء ما جادت به قرائحهم من القصائد الطنانة وأصبحت المحافل والاجتماعات لا تفتح المقالات الا بسلام سعد وكذلك صار رسم سعد باشا في كل مكان ،فلا تجد مسرح تمثيل ولا نادياً من النوادي ولا قصراً من قصور الامراء الى منازل الاغنياء الى اكواخ الفقراء ،الا كلها مزينة بصورته الكريمة

وكذلك طبعت على المؤلفات والجرائد والمجلات والروايات والبطاقات، وصنعت على الاواني وشغلت ضمن المصنوعات وجعلت اوسمة فخار يتحلى بها صدر كل فتى وفتاة

عاد سعد باشا إلى مصر ومعه اعضاء الوفد وقد صمم على تحرير بلاده بكل الطرق المشروعة خائضاً بحر السياسة المضطرب سائراً في بيدائها المحفوفة بالاخطار ليخرج امته من نير العبودية مجتازاً مخاطر الاضاليل السياسية

ولقد ارتاب اولا في هذه الوزارة وأعلن للامة ان لا يتفاوض معها ولكنه لدواع سياسية دخل معها في ميدان العمل لايجاد السبيل إلى مفاوضة الانجليز، ولما وجد أن عمل الوزارة لا يوافق البرنامج حصل الخلاف بينه وبينها — وبمجرد خروجه منها انشق عليه فريق من الوفد فحصلت الاضطرابات وانقسمت الامة إلى سعديين وهم الامة باسرها وعدليين وهم طائفة من ذوي الاهواء والاغراض

ولم يلبث حتى صدرت اليه الاوامر هو ورفاقه اعضاء الوفد ان يعتزلوا السياسة ويذهبوا الى عزبهم فأبت نفس سعد باشا الكريمة ان يذعن لمثل هذه الاوامر فحكموا عليه وعلى رفاقه بالنفي بدعوى انه احدث بالبلاد قلاقلا واضطرابات، واعتبروا مطالبه المشروعة فوضى وهو رجل نظام لا نذير خصام

حكموا عليه بالنفي واختطفوه غيلة من بين امته فهاج الشعب وماج وقامت المظاهرات وغضبت الامة كلها من اجل ذلك — نفوا سعد باشا ورفاقه ولم يرحموا كبر سنه او يراعوا عظيم مقامه وصاروا ينقلونه من مكان الى مكان، وقلوب الامة تكاد تنفطر على فراقه وهو كذلك يحن الى شعبه ويتلهف على وطنه، فمن سيشل الى جبل طارق الى ايكس لابان، ذاق فيها الامرين وهو عليل الجسم سقيم الفؤاد، ولم تبرح ذكراه الالسنة وعلقت صورته بمخيلة كل انسان.

ولقد عاد الزعيم ثانية الى ربوع مصر ورأيناه فيما بيننا فذهب من قلوبنا اليأس وقوي حبل الرجاء وسرى عنا بعض ما لاقيناه في غيبته وعاد الى جهاده الشريف فشكر الله سبحانه وتعالى

خطب سعد باشا الحديثة

— ١ —

« الخطبة التي القاها في الحفلة التي اقامها له الطلبة في فندق سفواي بالاسكندرية يوم وصوله الى الثغر في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٣ »

يا ايها الامير الجليل ، ويا اصحاب الدولة ويا ابنائي الاعزاء :

يدفعني للكلام في هذه الحفلة على تعبي وضعف صحتي واتساع المكان سببين . السبب الاول شكر الامة في اشخاصكم . شكر الامة جميعها على اختلاف طبقاتها من اكبر كبير فيها الى اصغر صغير على العطف الذي ابدته ولا تزال تبديه في كل فرصة من شدة ورخاء ، من هناء وعزاء ، من سراء وضراء ، كل هذا جعلني كلي شكراً لهذه الامة الكريمة ، فأرجوكم تبليغ الشاهد منكم الغائب اني اشكرها على اختلاف طبقاتها ، واني لا ارى الشكر بلساني كافياً بحقها فعزمت وآليت على نفسي ان اتفانى في خدمتها (هتاف)

ولهذا فاني اسامح كل عائب في شخصي وكل من قصدني شخصياً بسوء او اعتدى علي وأسامح كل من سبني او قذفني ولا اطلب من الله الا ان يجازيه احسن الجزاء (هتاف)

اما السبب الثاني فهو انني رأيت بعض خطبائكم يوجه الي تهمة كبيرة جدا لا يمكنني ان اتركها تمر دون ان ادافع عن نفسي فيها وهي اني غرست في قلوبكم محبة الوطن واني اشعلت الحماسة فيكم . هذه تهمة لا يمكنني ان اسكت عنها (تعرفوا ليه ؟ لأني مش عاوز اتنفي ثاني مرة) — (ضحك)

نفيت لاني متهم بأني غرست الوطنية فيكم ولم اكن انا الغارس للوطنية

في قلوبكم ، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي غرسها في صدوركم وقد اخذتها عنكم لاني معكم فسرت الوطنية منكم الي

نفيت لاني تشربت بحبكم وأخلصت لكم ولما عجزوا عن اماتة هذا الحب في قلوبكم وفي قلبي ، اعادوني فاضطررنا لانتصار حبنا على بغضهم وسوف يولينا الله سبحانه وتعالى النصر حتى نفوز بكل الاماني

— ٢ —

« الخطبة التي القاها في فندق كلاريدس الذى نزل فيه بالاسكندرية يوم وصوله الى الثغر أيضاً »

اني بحاجة لان اسمع منكم اكثر مما انتم في حاجة لان تسمعوا مني ؛ غبت غيبة طويلة عنكم ولم يكن بي فكر الا فيكم ولا ابحث الا في مستقبلكم؛ كنت متيقناً انكم متحدون والاتحاد هو واسطة النجاح

اني اشكر لجنة الاحتفال على احتفالها، اشكر الاسكندريين جميعاً على ما اظهروه من عطف وحفاوة بعودتي ، اشكر في اشخاصكم جميع الامة المصرية على هذه الحفاوة الباهرة التي استمد منها المعونة على حمل هذه النعم التي توالت علي،عناية الملك بي وعناية الامة،فان النعمة تحتاج الى حسن الاحتمال

على ان هذه الحفاوة التي رأيتها ليس المقصود منها شخصي الضعيف ولكن لها معنى اسمى من هذا كثيراً . ان الاقوياء ارادوا ان يسكنوا حركتكم واعتقدوا اننا كنا العقبة الكأداء في سبيل المفاوضة الرسمية ، فنفونا عقاباً لنا على ذلك ، وظنوا ان في هذه اهانة لكرامتكم وجرح لعزتكم . غضبتم واظهرتم غضبكم بكل وسيلة مشروعة وما زلتم تواصلون الصيحة بعد الصيحة حتى فزتم بمرغوبكم واطلق سراح الاحرار منكم واعيد

المنفيون من اخوانكم ، وقد كنت اول المبعدين وآخر العائدين ، ففرحهم لان هذا كان سبب سعيكم وسبب اتحادكم ، وافخر لان اسمي اقترن بهذا المعنى

لقد حدثت في المدة الاخيرة حوادث مهمة في البلاد وانتم قابلتموها باحتجاج وغضب ، ولا اريد ان ابدي رأيي في مسألتها الآن لانه رأيكم ايضاً ولا اريد ان احصل حاصلا وان كنت في بعض المسائل ازيد شيئاً يسيراً ، على انني متعب لا اريد ان ادخل في تفاصيل المسائل . انني متعب والوقت لا يتسع للبحث في هذا الموضوع والايام بيننا فنتشاور ونتناول الاسرار ويقف كل منا على ما عند الآخر من الافكار ولهذه الفرص حكم وعذري واضح والله يوفقني وإياكم الى ما فيه الخير .

— ٣ —

« الخطبة التي القاها بالسرادق يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ »

لم اصعد المنبر للخطابة فيكم لاني لا ازال ضعيفاً ولا اقوى على الخطابة ولكني صعدت اليه اطاعة لامركم واضطراداً لخطتي التي التزمتها وهي انني لست اميراً فيكم ولكني خادم لمبادئكم وأرجو الله سبحانه وتعالى ان يرزق مصر الاستقلال التام (تصفيق)

طلب مني بعض خطبائكم ان القي كلمة لتكون برداً وسلاماً على قلوبكم والكلمة التي جاشت في صدري عقب هذه الدعوة هي ان ارجوكم وأرجو كل مصري ان يحافظ على امر واحد هو فخار نهضتنا الحاضرة ، ذلك الامر هو الاتحاد المقدس (تصفيق)

لست خالق هذه النهضة كما قال بعض خطبائكم — لا اقول ذلك ولا ادعيه بل لا اتصوره ، انما نهضتكم قديمة تبتدىء من عهد مؤسس الاسرة المالكة محمد علي، وللحركة العرابية فضل عظيم فيها وكذلك للسيد جمال الدين

الافغاني وأتباعه وتلاميذه اثر كبير وللمرحوم مصطفى كامل باشا فضل غزير فيها ايضاً وكذلك للمرحوم فريد بك

كل هذا حق ويجب علينا ان لا نكتمه لانه لا يكتم الحق الا الضعيف (تصفيق) . ثم اتت هذه النهضة على اثر تلك النهضات وامتازت على سابقاتها بأن اوجدت هذا الاتحاد المقدس بين الصليب والهلال (تصفيق) هذا الاتحاد الذي ارجو مصر جميعها ان لا تتهاون فيه فانه فخار هذه النهضة وهو عمادها . . وهو الذي اضطرب له خصومنا اذ اسقط من ايديهم حجة كانوا يعتمدون عليها كما اردنا تحرير رقابنا من النير الذي وضعوه في اعناقنا

يقول خصومنا اننا حماة الاقلية فيكم لانكم قوم متعصبون فلا بد من ان تبقى بينكم لنحفظ العدل فيكم ! ! . . هذه الحجة سقطت باتحادكم ولكنهم الآن انتهزوا فرصة الانتخاب ليبثوا الانقسام فيكم فاحذروا هذه الدسيسة واعلموا انه ليس هناك اقباط ومسلمون. ليس هناك الا مصريون فقط. ومن يسمونهم اقباطاً كانوا ولا يزالون انصاراً لهذه النهضة ، وقد ضحوا كما ضحيتم وعملوا كما عملتم وبينهم افاضل كثيرون يمكن الاعتماد عليهم فاحسوا التراب في وجوه اولئك الدساسين الذين يفرقون بين مصريين ومصريين ان لا امتياز لواحد على آخر الا بالاخلاص والكفاءة

فيهم اجسامنا وفيهم من هو افضل من كثير منا ، اقول هذا لاني اقول الحق ويجب على زعيمكم ان يقول الحق (تصفيق حاد)

لقد برهنا في مواطن كثيرة على اخلاص شديد. وكفاءة نادرة وأفتخر (أنا الذي شرفتموني بدعوتي زعيمكم) بأني اعتمد على كثير منهم فكلمتي ووصيتي فيكم ان تحافظوا على هذا الاتحاد المقدس وأن تعرفوا ان خصومكم يتميزون غيظاً كلما وجدوا هذا الاتحاد متيناً فيكم (تصفيق). ولولا وطنية في الاقباط واخلاص شديد لتقبلوا دعوة الاجنبي لحمايتهم وكانوا يفوزون بالجاه والمناصب بدل النفي والسجن والاعتقال ولكنهم فضلوا ان يكونوا

مصريين معذبين محرومين من المناصب والجاه والمصالح يسامون الخسف ويذيقون الموت والظلم على ان يكونوا محميين بأعدائهم وأعدائكم

هذه المزية يجب علينا ان نحفظها وأن نبقيها دائماً في صدورنا واني افتخر كل الافتخار كلما رأيتكم متحدين متساندين فحافظوا على اتحادكم وهناك افتخار آخر لهذه النهضة وهو التفاف الامة حول شخصي الضعيف

تعودتم طاعتي وأنا لم اكن اميراً فيكم ، ولا قريباً لبيت ملك اعتدتم الخضوع لهم ، ولا انا من بيت كبير بل انا فلاح ابن فلاح من بيت صغير يقول عليه خصومنا انه حقير ونعمت الحقارة هذه ، ولم اكن غنياً ليكون التفافكم حولي طمعاً في مال ، ولا انا ذو جاه اوزع الجاه على من يطمع فيه ولكنكم التففتم حولي فدللتم بذلك على انكم لا تطلبون مالا ولا جاهاً بل السجن في بعض الاوقات (تصفيق حاد)

انتم امة تلتف حول رجل لا مال عنده ولا جاه ولا جمال ايضاً (ضحك) حقيقة ان كل ما يستهوى الناس عادة مفقود عندي — انا مقر بذلك وانا أؤكد لكم واقسم بالله وبصفاته اني ما تخيلت حتى في مناص ان شخصي الضعيف موضوع تلك الحفاوة ولكني اعتقد ان في الامة شعورا تبعياً ونوراً الاهياً هداها الى شيء في شخصي الضعيف هو اني متمسك عبادئها (تصفيق)

قالوا وما اكثر ما قالوا — قالوا انكم قوم تعبدون الاشخاص (يعني ما شفتوش الا انا ؟) (ضحك) لم لم تعبدوا غيري . هذا كلام فارغ لا يستحق مني الرد — وهذا هو الدليل على ان نهضتكم حقيقية

تعبت مع صحبي المخلصين — وهنا اسمحوا لي ان استطرد عن اولئك الصحب

تعبت ولكن صحبتهم أنستني آلام النفي لانهم كانوا حقيقة ابناء بررة ، شعرت بحبهم . انسوني كل ما كان يمكن ان احس به في سجني وغربتي ،

ولولا قصر الوقت لشرحت لكم جميل عنايتهم لي — يقينا كنت اتقوى في عزيمتي بهم ، وانى اشكرهم على هذه التقوية — آنسونى آلاماً كثيرة ووجدت فيهم عوضاً كبيراً — شكرتهم بسري هناك وهنا اشكرهم علناً امام الامة جميعاً (تصفيق حاد)

نفينا فماذا حصل ؟ حل محلنا آخرون فكان لهم من الأمة نفس الاحترام الذي كان لنا لأنهم حلوا في المكان الذي عهدت فيه الامة الأخلاص — حلوا فيه ولم يكن امامهم الا السجن والنفي والأثم ودل ذلك على ان الامة جميعها مستعدة — اذا غاب منها سيد قام سيد (تصفيق)

جاء هؤلاء الخلق ونابوا عنا احسن نيابة وعذبوا وأهينوا ولكنهم صبروا حتى حكم عليهم بالاعدام فتقبلوه بوجوه باشة هاتفين لمصر وللاستقلال التام (تصفيق حاد وهتاف متواصل) وعند ما اخذوا قام من خلفهم وسار سيرهم. فكان له ما كان لهم من احترام وسجن واعتقال، ثم خلفهم اسياد اخرون قاموا بعبئهم خير قيام — فتوالى قيام الابطال مكان الابطال — السجن يفتح ابوابه لكل حر ولكل عامل للحرية دليل على تأصل النهضة فيكم وانكم حقيقة مستعدون لان تضحوا كل شيء في سبيل استقلالكم وان نهضتكم حقيقية وأنكم تمجدون الاشخاص الذين يتمسكون بمبادئكم مهما كانوا . وكنت وأنا في منفاي عند ما ارى هذه الوثبات اقول لقد تمت مأموريتي واستقلت البلاد (هتاف لحياة الرئيس) فأجاب معاليه هاتفاً (لتحي جميع الوفود التي خلفت سعداً في مكان سعد) فردد الجميع هذا الهتاف

نعم انهم عذبوا واهينوا وسجنوا وأخيراً وجد من يعيرهم بالسجن والنفي ! ! . عابوا عليهم ان يسجنوا . عابوا عليهم ان ينفوا. عابوا عليهم ان يهانوا . وقالوا بطولة كفارغ بندق — بئست هذه الكلمة. لا معنى للبطولة الا ان يقتحم الشخص الاخطار مع كونه عالماً بأنها اخطار ويتحملها برباطة جأش وثبات جنان كما تحملها هؤلاء الذين كانوا معي وأشهد الله اني كنت

آخرهم فهم ابطالنا وهم ابطال الامة وهم الذين يجب ان ترفع لهم الاعلام وأن يشاد بذكرهم (تصفيق)

واني أؤكد لكم ان كل ما يظهر مني من عمل صالح فهو باشتراكهم وربما كان فيهم من هو صاحب الفكرة الصالحة لاني ضعيف بشيخوختي في وسط اولئك الشبان القديرين . فصاح صائح (ليحي التواضع) فرد الرئيس قائلا (انا لا اعرف الكذب ولو في التواضع) اني اقول الحق حتى لو كان فيه فخر لنفسي . اني لا اخشى في الحق لومة لائم . ولا اخشى الجرائد

اني كنت اقرأ قبل كل الجرائد جرائد المخالفين واسر كل السرور بكذبها ، وأحمد الله لانهم لم يجدوا ضد اخواني حقاً يعيبونهم عليه لانه لا اسر للنفس من ان ترى خصمها منغمساً في الكذب والرذيلة

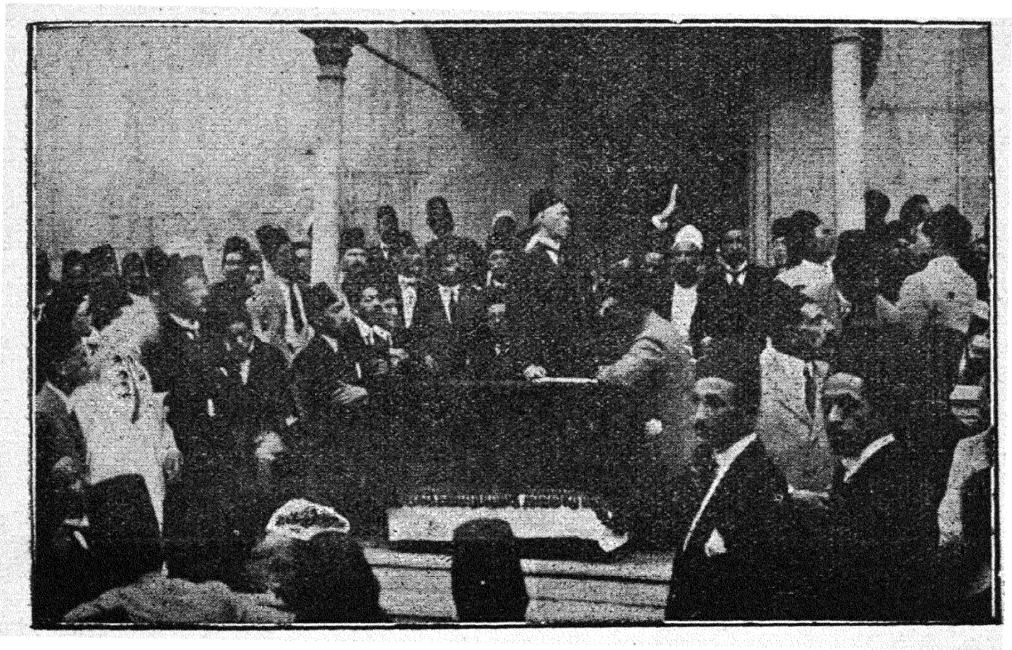
لقد فاتني ان اشكر الوفود ولكن هل انتم في حاجة الى شكر ابديه؟— لا نبديه لكم فلسان الحال افصح من بياني (تصفيق حاد وهتاف متواصل)

— ٤

« خطبة اخرى في نفس الليلة »

ايها السادة :

لا اريد ان اخطب فيكم الآن. لماذا ؟ لان خطبتين في اليوم توجع او (خبطتين في الراس توجع) ولكن دعاني لان اقف هنا بعض كلمات سمعتها من صغيرة (مشيراً الى بثينه ابنة المرحوم الشيخ علي يوسف) تدعوني فيها الى الصفح عمن اساءوا الى البلاد فأردت ان اجيب على تلك الكلمة البليغة الصادرة من قلب طاهر بأني لا املك الصفح عمن اساءوا الى البلاد لان هذا من حق الامة وحدها لا من حقي الشخصي . فاذا ارادت الصفح عنهم فلا معارضة لي في هذه المكرمة



معالي سعد باشا زغلول يلقي خطاباً في بيت الامة

— ٥ —

« خطبة القاها معاليه في السرادق في ظهر ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٣

ايها السادة :

اني اخجل من نفسي ، اخجل عند ما اسمع خطباءكم وشعراءكم يسندون الي من الصفات مالا اجده في نفسي بعد التدقيق الطويل ، فاخجل عند ما اريد المطابقة بين كلامهم ، وبين ما في نفسي ، واني اؤكد لكم اني توهمت من تأثير كلامهم ، ومن جلال الاحتفالات التي شاهدتها ومن السرور الذي اشعر بحرارة صعوده من انفاسهم ان سعد زغلول شخص غيري ، وحيث اني اتوهم او اعتقد ان موضع كل هـذه المظاهر ليس شخصي فلست مكافأ بشكركم ، ولو كنت مكلفاً به فاني اراه فوق طاقتي . وكما يقول المحامون زملائي ليس لي صفة في الشكر وليس لي قدرة عليه ، ولذلك اذا اردتم فليشكر بعضكم بعضاً واشاركم في هذا الشكر العظيم (تصفيق)

بدأت امس ان اتكلم جواباً على كلمة بريئة صدرت من قلب فتاة طاهرة تدعوني ان اصفح عن الذين اساؤا الى البلاد ولكن تقدم الوقت وقدوم بعض الزوار حالا بيني وبين اتمام غرضي امس . فهل تسمحون لي باتمامه اليوم — هـذا الصوت الذي ينادي بالسماح سمعته ، وتأملته ، وقلت ان الذين اساءوا الى البلاد ليس من حقي انا مسامحتهم ، ولكن هذا من حق الامة ، اما انا ففيما يتعلق بشخصي فقد سامحت كل عائب في حقي وكل من اعتدى على شخصي بسب او قذف او تهمة باطلة — له الله لا ليعاقبه على ماجناه . بل ليجازيه احسن الجزاء . هذا فيما يتعلق بشخصي . اما بالنسبة لحقوق الامة فلا يمكنني ان اتصرف فيها . ان توكيلي لا يبيح لي المصالحة

وحضرات زملائي المحامين وسادتي القضاة يعلمون مقـدار ذلك . وان القاعدة العامة هي انه اذا لم ينص في عقد التوكيل على المصالحة فلا يصح للوكيل ان يباشرها ، ولذلك عند ما عرض علينا مشروع ملنر ووجدناه قاصراً عن توكيلنا ومنافياً لاستقلالنا . وان كان فيه فوائد لا يستهان بها . قلنا ليس قبوله بملكنا بل الامر فيه للامة فنحيله عليها وهي تنظر الى هذه الفوائد وتقيس بعقولها وافكارها ما بينها و بين غايتها من البعد والقرب فتقبل او تؤيد رفضاً . ولكني دعوت الامة الى وزن هذه الفوائد والنظر فيما اذا كانت تغلبها على مضاره فتقبله او ترى ضرره اكبر منها فترفضه — وقد فعلت الامة ذلك ولم تقبله

ولقد وردت علينا ونحن في البحر اشارة تلغرافية تطلب منا ان نعمل على السلام و نؤيده وأن ندخل بلادنا حاملين لواءه — والله يحب المحسنين —

صدرت هذه الرسالة البرقية لنا ونحن في البحر ولا اريد ان اذكر اسم الشخص الذي ارسلها . ولكني اقول لكم انه اول شخص اثار فتنة الانقسام — هو الذي اتهمني بأني ارتكبت اغلاطاً كثيرة لا يصح معها ان تبقى ثقة الامة بي فيجب انتزاعها

هذا الشخص الذي حمل لواء الانقسام يريد الآن ويعرض علي ان ادخل البلاد حاملا لواء السلام . . . . ولكني ما افتكرت يوماً اني عملت على الانقسام . او سعيت له . او رضيت به . حتى اجهدت نفسي في منعه زمناً طويلا . وضحيت كل عاطفة شخصية للحصول عليه . ولكن الله لم يقدر لسعي نجاحاً

علمتم وعلم غيركم وعلم كثير من افراد الامة ان المنشقين عادوا من باريس ونشروا في طول البلاد وعرضها تهماً ضدي . وتكلموا بما في وسعهم . وبكل ما اخترعته اوهامهم . علمت ذلك قبل قدومي . فتكلمت مع اخواني في هذا الامر . تداولنا فيه . واستصدرت قراراً بفصل من اساءوا الى القضية

المصرية . استحصلت على هذا القرار بفصلهم من الوفد . ولكن اهتمامي بالقضية ، ورغبتي في الاتحاد جعلتني اذهب اليهم وأعتذر لهم عن ذنوبهم ، واطلب منهم ان يصفحوا عن خطأهم ، وفكرت ان هذا المسعى كاف لارجاعهم واستمرار الاتحاد بيننا، فعادوا وكأنهم عادوا ليحكموا الانشقاق، فما لبثوا حتى انشقوا وقالوا اما ان نؤيد الوزارة الحاضرة « وزارة عدلي » واما ان ننفصل عنك ، ويعلم الله انه لم يكن في وسعي ان اؤيد هذه الوزارة لان تأييدها كان ضد اعتقادي ، ولا يمكن الا اذا شهدت زوراً ، وما شهدت زوراً في حياتي قط

رفضت الوزارة طلباتنا التي كنا اشترطناها للاشتراك في المفاوضة ومن بينها الغاء الاحكام العرفية ، وأن تكون رئاسة المفاوضات للوفد المصري — لم يقبلوا الشرط الاول بدليل ان وزارتهم استمرت طويلا في الحكم وانتهت دون ان تلغى تلك الاحكام ، ولكنهم من فرط ذكائهم ، ومن سعة حيلتهم لم يذكروا هذا وقالوا ان زغلول انما يريد الرياسة وهذا مخالف للتقاليد، ولا يمكنهم ان يسلموا به ، على اني ما افتكرت عمري ان اتشرف برياستهم او برياسة غيرهم انما كنت اعد خدمة الامة اشرف من كل رياسة (تصفيق)

لم تلغ الاحكام العرفية مطلقاً ، وساروا في خطتهم ، وعندي حجج وبراهين لا تقبل النقض بأنهم انما كانوا يريدون ان يدخلوا مشروع ملنر على البلاد فتتقبله ، وأن يكون لهم الحكم فيها بعد قبولها له، وكنت ارى فيها غير رأيهم ، وكان هذا سبب الانقسام لا ما هو الان من ان سببه المفاوضة وأن المفاوضة انتهت فلا معنى لاستمرار الخلاف — ان سببه ان الامة وكلتني في حقوق وأرادت ان اتمسك بهذه الحقوق وهم ارادوا ان يقبل بعضها دون البعض الاخر ، ومن هنا نشأ الانشقاق

لا يمكنني وقد عهدت الامة عهداً علينا شهد الله به وشهد الناس اجمعون — ان اغش الامة او اخدعها وآتي لها باستقلال غير حقيقي في ثياب استقلال

حقيقي . . . ما قبلت ذمتي ذلك . ولا قبلته ذمة صحبي المخلصين ، اما هم فلا يزالون عاملين عليه الى الآن

انشقوا ، وثبتنا في مكاننا ، وما عملنا على الانقسام بل حافظنا على الوحدة ، اني لا اريد سرد حكاية ربما تأخذ من وقتكم النفيس زمناً طويلاً ، ولكني اشير لها اشارة حتى ابين لكم عذري في انه لا يمكنني ان اقبل الاتفاق مع اشخاص تزعزعت الثقة بيني وبينهم فيما يتعلق بموضوع توكيلي — هم يطلبون حقوقاً اقل مما تطلب الامة ، ونحن متشبثون بكامل حقوقها ، ومن هنا نشأ الشقاق

انتهى مشروع ملنر وجاء دور آخر هو تصريح ٢٨ فبراير — اتوا بمشروع ٢٨ فبراير ، وأنا اعتبره اكبر نكبة على البلاد ، ولا يمكنني بصفة كوني وكيلا عن الامة ولا بصفتي الشخصية ان اقبله مطلقاً والا كنت سابا للضحايا ، كنت قاذفا لاولئك الذين تبرعوا بارواحهم في حماية الوطن ، واستحققت أكبر العقاب منكم ومن الاجيال التالية

تصريح ٢٨ فبراير احتفظ بنقط اربع كما تعلمون ليكون للانجليز الحق المطلق في التصرف فيها الى وقت الحصول على اتفاق بين مصر وانجلترا ، وهذه النقط هي حماية الامة المصرية من كل تعد اجنبي . حماية المواصلات . حماية الاجانب والاقليات . السودان . ويقول التصريح في نهايته ان لانجلترا الحق المطلق في التصرف في هذه المسائل وحفظ الحالة الحاضرة فيها الى ان يتم الاتفاق بين انجلترا ومصر . فلو رضيت الامة المصرية بهذا لكانت نتيجته ان يكون للحكومة الانجليزية الحق مؤقتاً والى حين الاتفاق في ان تحمي مصر ضد كل تعد اجنبي . وأن تحافظ على المواصلات . وأن تحمي الاقليات الاجانب وأن تحتفظ بالحالة الحاضرة في السودان

حينئذ اذا كانت الامة المصرية تقبل هذا التصريح فانها تقبل بهذا ان

يكون لحكومة انجلترا حق مؤقت في كل هـذه الامور — وهذه الامور عند ما نبحثها نجدها ليست حماية فقط بل اشتراكا فعلياً في سيادة البلاد

اولا — حق حماية مصر ضد كل تعد اجنبي . هـذا هو الحماية بعينها لانه لا معنى لان تحمي دولة قوية امة ضعيفة الا ان تكون هذه الامة الضعيفة تحت حماية القوية ، واذا كان للحماية معنى آخر فليقولوا لنا ما هو ؟

ثانياً — ان الحكومة الانجليزية بمقتضى التحفظات (اذا قبلناها) يكون لها حق حماية المواصلات وحماية الاجانب وحماية الاقليات ومصالح الاجانب والاقليات ليست منفصلة عن مصالح الامة جميعها . بل هي متصلة بها وممزوجة فيها . . . اذن باسم هذه الحماية يمكن لانجلترا ان تتدخل في كل امر من امور الادارة . وكل امر من امور التشريع . وهـذا هو اشتراك فعلي في سيادة البلاد . فان رضينا بها اصبحت انجلترا شريكة لنا ، شريكة فعلية في ادارة شؤوننا الداخلية . اليس كذلك ؟ (اصوات كثيرة نعم . نعم . هو كذلك) . هو كذلك وفوق ذلك . واذا رضينا بهذا فيما يختص بالسودان ايضاً كان لانجلترا بمقتضى هذا الرضا ان تبقى في السودان على الحالة التي هي بها تتصرف فيه كيف تشاء . ولا نعارضها فيه الى ان يتم الاتفاق بين مصر وانجلترا . . .

ومتى يتم الاتفاق يا سادة ؟ افرضوا ان المفاوضات حصلت وجرت وانجلترا لم تتفق معنا ... انه بمجرد قبول تصريح ٢٨ فبراير تبقى هي حافظة لهذه النقط حتى يتم الاتفاق — والاتفاق ليس في مصلحتها. فهي اذن لا تتفق

حينئذ هذا التصريح عبارة عن حيلة ، عبارة عن خدعة ، عن وسيلة يراد بها الحصول على تصحيح مركز انجلترا في مصر، وبعد ان كان مركزها مركز الغاصب ، وبعد ان ابت الامة ، ان تجعله شرعياً يكون بقبول الامة لتصريح ٢٨ فبراير شرعياً ، والتوقيت حينئذ يساوي التأبيد

اما القول بأن هذا التصريح اعطانا ولم يأخذ منا شيئاً فقول غير صحيح ،

وغير حقيقي . اننا اذا قبلناه لا نأخذ شيئاً و نكون اعطينا انفس الاشياء وفوق ذلك عقولنا — خدعة يجب على كل مصري الا يقبلها . ولا كانت نهضتنا باطلة ، كانت حركتنا فاسدة ، وكان كل ما عملناه ضائعاً لاننا عملنا لرفع الحماية عنا فاذا قبلناه انتهينا لا بأن نثبت الحماية فقط بل بأن نشرك الاجنبي في حكم بلادنا . وفي هذا غاية الخسارة

قالوا وهم شاعرون في ان يبهرجوا ما قالوه — انا صرنا مستقلين في الداخل والخارج ومظاهر الاستقلال ها هي : بسفارات تنشأ لتمثيل مصر في الخارج على طريقة لا ثقة بمصر المستقلة فسفراؤها وزراء . . . ومرتباتهم ضخمة ومعاونوهم كثيرون . اني أؤكد لكم بأن هؤلاء الذين عينوهم سفراء لن يكونوا الا مساعدين لسفراء الانجليز سادتهم وأنهم لا يتفاوضون بحرية في امر مصر ، ولا يتبادلون الآراء فيه ... ولكن وظيفتهم كما قال ملنر ان يخفتوا كل صوت يرتفع في اوروبا من كل مصري تلميذاً كان او غير تلميذ ... هذه هي المأمورية التي انشئت من اجلها تلك السفارات الضخمة التي حملت الخزينة ما حملته من النفقات ، وستعرفون ذلك غداً ، ان غداً لناظره قريب ، فأصحاب تصريح ٢٨ فبراير لا يمكن ان نتفق معهم بأي حال من الاحوال . لانهم في واد ونحن في واد . ولا يمكن ان يتفق النقيضان ولا ان يجتمع الضدان . لا يمكن ان نتفق مطلقاً ، على اننا اذا اردنا ان نتفق فمع من نتفق ؟

خبروني من هم الذين رأوا ان نتفق معهم وما هي قوتهم في البلاد ؟ ... اني اقول انه ليس لهم ادنى قوة .. ليس لهم ادنى شأن . ولا اعترف لهم بزعامة

هم يقولون وانت ايضاً كذلك — فليكن (انا اريد ان اسلم لهم بذلك جدلا) لاني لا اريد مناقشتهم . وافرض ان شأني امام الامة كشأنهم . اذن فليتوجه كل منا الى الامة في الانتخابات ويعرض نفسه عليها تحت شعاره — فاذا كانت الامة تنتخب فريقهم فحينئذ يتولون الامر ونتنحى نحن عنه . اما اذا كان الامر بالعكس فكفى الله المؤمنين القتال .

واذا كنتم تريدون ان تتفقوا معي على ان اشهد لكم ضد الامة حتى تنتخبكم (اهي دي اللي باردة) فابحثوا عن غيري ليشهد لكم

انا جربتكم ، وجربت انه لا يمكن الوثوق بكم ، اني اعرض على الامة حوادثهم واعمالهم ثم اقول لها اذا كنت بعد ذلك تثقين بهم فلك الرأي الاعلى ، واما انا فقد قمت بواجبي نحوك وقد اخلصت النصح وما علي ان تتم الرغائب ... ولكن ان يطمعوا في ان زغلول او احداً من اصحابه يكتم الحق على امته ولا يقول لها ما يعلمه فهذا طمع ابليس في الجنة — هذا مستحيل .

دعاة الاتحاد ! — الاتحاد كلمة لطيفة تشجي النفوس ، وتستميل القلوب والشخص الذي يأباه يظهر بمظهر المغرر الميال الى الانقسام . ولكني أؤكد لكم وللامة جميعاً ان ليس شيء من ذلك بدافع لي او لاخواني على اننا لا نتفق الآن معهم . ولكن الدافع لنا انا لا نريد ان نلقي عقولنا لأني لا ارضى ان اعمل الا بذمة . لا ارضى ان اكون اضحوكة . . . فليتوجهوا الى الامة وليعرضوا عليها ان تثق بهم بلا واسطتي . وسأذهب معهم الى الامة وهي تفصل بيننا وهي خير الفاصلين .

— ٦ —

« خطبة اخرى القاها في نفس الليلة »

سادتي وأبنائي :

اشكركم جميعاً ، اشكر الخطباء ، والشعراء على ما خطبوا وأنشدوا ، وأشكر السامعين لحسن اصغائهم ، وانهم دلوا بتصفيقهم ، واستحسانهم على أنهم يشاركون اولئك الخطباء والشعراء فيما قالوه ، وفيما سمعوه منهم ، وعلى ان شعور الكل واحد ، وأن جميعهم ناقمون على ما ابداه المخالفون من امور لا تتفق مع مصلحة البلاد

وليس لي ترضية اكبر من هذه الترضية ان ترضى الامة عن عملي ، وأن تغضب من عمل مخالفي

هذه ترضية كبيرة جداً،ونعمة من اكبر النعم التي احمد الله وأشكره عليها اكثرتم من ذكر النفي وآلامه ، وأسفتم لهذا الظلم ، ولكني بدون مبالغة (لأني ما تعودتها) ما تألمت في منفاي لأني علمت ان هذه فرصة كبيرة لاظهار غضبكم وابداء اتحادكم وأنا على ما بي من ضعف القوة،وعلى ان السير في المركبات يتعبني حتى ما كنت اتحمل ان اسير في مركبة اكثر من ساعة الا وتدور بي الدنيا . فاني عند ما اخذت صباحاً من منزلي وساروا بي الى السويس في طريق غير معتدلة . في طريق وعرة ، في طريق كلها انجاد ووهاد ، مكثت ثماني ساعات تقريباً بدون اكل ولا شرب ، ومع ذلك ما شعرت بالتعب قط (قال قائل نعمت التضحية)

ماكانت تضحية حتى تذكروا شأنها — نعم لم تكن هذه تضحية. لأني قلت لكم اني لم اتألم لها ، بل وجدت نفسي مستريحاً جداً،ونمت بدون لباس النوم وطربوشي فوق رأسي في خيمة تعصف الرياح ويشتد البرد فيها . ولكني ما شعرت ببرد بل كانت حرارة قلبي تدفئني وتدفع البرد عني

مرضت بعد ذلك في سيشل ولم افزع للمرض ، بل كنت اتمنى الموت لا هرباً من الالم ولكني كنت ارى ان في موتي بالمنفى نفعاً لبلادي

كان يؤلمني ان اعلم انهم يعذبون الاحرار منكم ، وينكلون بهم تنكيلا ، لا اخفي عليكم اني تألمت ايضاً يوم علمت انهم هاجموا منزلي وفتشوا حرمي (وهنا بكى الرئيس فعلا الهتاف شديداً ليسقط الاستبداد) ولكني لم البث ان زال الالم من نفسي عند ما علمت ان شريكتي في الحياة لم تتألم لهذا وأنها هي ايضاً تلقت هذه النكبة بالصبر الجميل (هتاف لتحي حرم الرئيس. لتحي ام المصريين)

نعم ان العادة جرت عندنا ان يكون الكلام عن النساء ايضاً مثلهن من

المخدرات ولكن لكل قاعدة استثناء ولا يمكني ان اكتمكم هذا الامر، لاني وحرمي لسنا الان ملكا لانفسنا بل ملك وفداء للامة (هتاف حاد نحن فداؤك يا سعد) وكنت ارتاح كثيراً، (وكثيراً جداً على رأي المحررين الجدد) «ضحك»

ارى اعمال خصومي كاعمال الاطفال، وكاعمال المجانين الذين يعطون سيفاً يضربون به ذات اليمين وذات الشمال لا يشعرون ان كانوا جرحوا من قصدوا جرحهم او جرحوا انفسهم كل عمل عملوه، وكل ظلم اجترحوه كنت ارى فيه غذاء وتقوية لوطنيتكم الحقة ولكنهم لا يشعرون — هم يفعلون هذه الافعال ويرتكبون هذه المظالم ظناً منهم انهم يجتثون بها من قلوبكم اصول هذه الوطنية، ولكنهم ما اقتلعوا من قلوبكم الا حبهم، وما اكتسبوا الا سخطكم عليهم، وغضبكم منهم وباءوا بخسران عظيم الى يوم الدين

في اليوم الذي جاء فيه تصريح ٢٨ فبراير — في هذا اليوم عينه انزلوني من معقلي، اخرجوني من سجني، فصلوني من ابنائي واخواني، ووضعوني في سفينة حربية مكثت فيها يومين وهي لا تتحرك، انزلت فيها يوم الاربعاء ولم تسر الا في يوم الجمعة، فعلوا هذا في اليوم الذي اعلنوا فيه ذلك التصريح وصعدت فيه وزارة ثروت الى منصة الحكم، لانهم ارادوا ان يمدوا لهم يداً بكتاب واخرى بسيف، فلم يكن الا ان مزق سيفهم كتابهم «تصفيق» وقالت الامة جاهلها مثل عالمها ان كان هذا استقلالا فلماذا نفي طلاب الاستقلال؟ (هتاف) . . .

ان كانت هذه حرية فلماذا يقصي اولئك الذين يطالبون بالحرية الى اقصى البقاع؟ . . دليل اقامه الله من اعمالهم واجراه على السنتهم ليكشف الغطاء عن نياتهم، ولكي لا تغش هذه الامة الكريمة في افعالهم، وهكذا فهمت الامة جميعها، صغيرها وكبيرها، هذا الدليل المادي، فبأقصائنا الى سيشل

فهمت ان تصريح ٢٨ فبراير خدعة خادعة ، وان ليس فيه منفعة للامة ، بل هو ضرب من الحماية ان لم يكن ضماً والحاقا . . .

ولهذا لم تحتفلوا به ولم تشتركوا في الاحتفال به، وفرغت الشوارع من السائرين في ذلك اليوم مع انهم افرغوا جهدهم في الاحتفال به ، وفي الاشادة بذكره ، فالامة تخلفت عنهم ، وصارت الجرائد تذكر الفتور الذي قابلت به الامة ذلك الاستقلال ، وعرفت انه استقلال مزيف ، وأخذت الجرائد المصورة صور اهم شوارع القاهرة التي تموج عادة بالناس وهي خالية وصوروا الناس وعليهم الـكآبة وكتب بعضهم يقول (هذا استقلال بالنبوت)

حمدت الله عند ما رأيت ان الامة لم تخدع وأن السبب في عدم انخداعها هو ابعادنا ولو ان الله اراد بهذه الامة شراً لـكان هداهم لان يعلنوا في اليوم ذاته عودة المنفيين واطلاق سراح المسجونين والغاء الاحكام العرفية ، وحينئذ ما كان يوجد من يحتج على هذا التصريح الا المفكرون جداً،وهيهات ان ينجح هؤلاء مع الشعب لان اصحاب هذا التصريح كانوا يقولون لهم ماذا تريدون ؟ اتريدون الغاء الحماية ؟ — انها الغيت ، اتريدون الاستقلال ؟ انه اعلن . ومن نتائج هذا الافراج عن المنفيين واطلاق سراح المسجونين والمعتقلين والغاء الاحكام العرفية ، وكانوا بذلك يغشون الامة ويخدعونها ويتعبون المفكرين في افهام الحقيقة لها . ولـكن الله اعمى بصائرهم وأبعدونا في ذلك اليوم لتقوم الحجة المادية ضدهم — وهي حجة فهمها الـكبير والصغير . حتى الجمال على جمله والحمار خلف حماره والفلاح في حقله والصانع في مصنعه (هتاف)

كل منهم كان يقول ان كنتم اتيتم بالاستقلال فلماذا يبقى المنفيون في منفاهم ؟

هذا دليل من ادلة كثيرة عندي تدل على ان نهضتكم نهضة الهية ،وأن كل ما يعمل ضدها ينقلب الى صالحها ، وكثير من الامور يراه خصومنا مدبراً منا ، والواقع اننا ما فكرنا فيه ولا في وسائله . ولـكن الله هو الذي دبره — لانهم قوم اساءوا ولاننا اخلصنا في نيتنا — ان الله لا يفلح عمل

الظالمين — وانما اذا اكتسبنا شيئاً فانما اكتسبناه باخلاصنا لا بكفاءتنا. والاخلاص اس النجاح، ولذلك نرى خصومنا، وقد خلت قلوبهم من الاخلاص، يقولون الكفاءة الكفاءة. لا يا سادة . . . ان الله لغني عن كفاءة تقضي الى الغاية التي سرتم اليها ، ونحن راضون باخلاصنا مع جهلنا ، لاننا ما دمنا مخلصين فالله مرشدنا، وما دمتم غير مخلصين فالله قدر لكم الخيبة في كلما تعملون

نحن مخلصون ، وقد هدانا الله ، ولكنكم ضالون ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، على الله نعتمد ومنه نستمد المعونة ، ومنه نرجو ان نبلغ الغاية التي يصبو اليها كل واحد منا وهو الاستقلال التام ، ونحن بمشيئة الله بالغوه. ما دام الاتحاد الذي تكلمت عنه بالامس مستمراً . . . . وسيبقى ان شاء الله مستمراً الى الابد (تصفيق)

اما الاتحاد الذي تتكلمون عنه — اتحاد السعديين والعدليين (لا احب ان يقال سعديون وعدليون وانما احب ان يقال وطنيون وغير وطنيين) — فغير مرغوب فيه

نحن نشعر ونظن ان شعورنا مطابق للحقيقة . اننا الاغلبية الساحقة ، وان غيرنا ليس الا نفراً قليلا ، ولكنهم ينازعون في هذا . فالفصل في الخلاف يجب ان يرجع للامة . فليقدم كل منا نفسه للانتخابات تحت شعاره، ومن نتيجتها يعلم من في جانبه الاغلبية الكبرى

يقولون اين برنامجكم ؟ فنقول نحن لسنا بحزب وانما نحن وفد موكل عن الامة يعبر عن ارادتها في موضوع عينته لنا وهو الاستقلال التام ، فنحن نسعى لهذه الغاية وحدها واني اعدكم ان شاء الله اني عند بلوغها اتنحى عن العمل فلا تروني اعمل ولا تسمعوني اتكلم

اما المسائل الداخلية — هل يكون التعليم اجبارياً مجاناً او بمصاريف !.... هل يجب في الامور الاقتصادية ان يكون هناك فوائد على الدين ؟ . . . هل نزرع القطن في ثلث الزمام او نصفه ؟ . . . فهذه مسائل اترك الامر فيها لمن

هو اعرف مني بها . واما فيما يتعلق بالاستقلال فنحن امة لا حزب ومن يقول اننا حزب يطلب الاستقلال يكون مجرماً . لان هذا يدل على ان في الامة حزباً او احزاباً اخرى لا تريد الاستقلال . مع ان الامة بتمامها تريد الاستقلال التام . فنحن طلاب ذلك الاستقلال. نحن تراجمة الامة فيما يتعلق بهذا الاستقلال . نحن امناء الامة فيما يتعلق بهذا الاستقلال ، واذا رأينا او توهمنا ان هناك اناساً يحولون بيننا وبين هذه الغاية السامية نقول لهم قفوا في مكانكم لستم منا ولسنا منكم . ولا يمكن مطلقاً ان نتفق معكم

يقولون اذا لم تكونوا احزاباً فاتركوا الاحزاب وشأنها . نعم نترك الاحزاب ولكن لا نترك الامة تنخدع في شخص لا يخدم الاستقلال، نعدكم بأننا نترك الاحزاب تشتغل ولكن مأموريتنا وهي السعي للاستقلال التام توجب علينا النصح للامة بانتخاب المخلصين الاكفاء، وتحذيرها من انتخاب المرائين الذين دل ماضيهم على انهم بالاقل متساهلون في حقوق البلاد — وكما نحذرها من هؤلاء نحذرها ايضاً من الذين يقولون اننا على الحياد . لاننا في معركة بين الاستقلال والحماية ، بين الحرية والاستعباد، فمن يكون على الحياد في هذا العراك يدل بحياده على انه لا يعنيه ان تستقل الامة او تحتمي . لا تعنيه ان تتحرر او تستعبد . . . اولئك ليسوا جديرين بأن يكونوا نواباً عن الامة في برلمانها

فالذين اشتغلوا ضد الاستقلال، وقامت الادلة على انهم يظاهرون الخصم على اغتصاب البلاد ، والذين هم على الحياد، والذين لا يهمهم مستقبل البلاد، كل هؤلاء لا يليق ان يكونوا نواباً عن الامة مهما كان فيهم من الكفاءة بل تكون كفاءتهم شراً على بلادهم

اقول هذا على فرض اني اسلم بهذه الكفاءة التي يدعونها لانفسهم، ولا اريد ان افتح معهم باب المناقشة فيها

الى هنا اجد نفسي شاعراً بالتعب فأستسمحكم في الختام

— ٧ —

« الخطبة التي القاها في السرادق مساء الجمعة ٢١ سبتمبر »

سادتي . ابنائي :

اثقلت الامة كاهلي بفضلها حتى اعجزتني عن شكرها . اذ كنت من يوم قدومي الى الآن موضوع احتفائها واحتفالها . فقد اظهرت من السرور بعودتي ما لم اكن احلم به في منامي ، فأكمد الخصوم وجعلهم يقولون ان الامة استقبلت سعداً في هذه المرة بفتور وبرود (صياح . كذبوا . كذبوا) لانهم وهموا ان هذا الاستعمال او ان هذه الحالة تصد الناس عن اظهار شعورهم فكتبوا ما كتبوا قبل ان يروا ، اعتماداً منهم على ان ما اتخذوه من الاجراءات من شأنه ان يقف بهذا السرور الى حد محدود وقد اظهرت الامة من السرور ما لم تظهره من قبل . كانت تتهافت على المظاهرة رغم المعارضة بل رغم ما كانوا يرتكبون ضد مظهري شعورهم

ما آلمني في وسط هذه الافراح والاحتفالات الا اخبار الذين حملهم السرور على الاقتراب مني وكانت السلطة تضربهم ليبعدوا عني ، ولكن الله عودنا ان كل معارضة ضدنا تنقلب لمصلحتنا وأن كل ما يعملونه لفصلنا من امتنا وفصل امتنا منا موجب لاتحادنا واتصال ارواحها بأرواحنا. خيب الله فألهم. لقد عملت وزارة الحياد على المعارضة والمشادة ولم تفلح ولن يفلح الله اعمالها . فعلت ذلك بحجة حفظ النظام خصوصاً في مثل هذه الايام ، ايام فرح الامة بانتصارها.وهنا يجمل بي ان اشير الى امر ما كنت اريد ان اشير اليه لولا هذه المؤلمات ، هذه الحوادث التي سمحت الوزارة لنفسها بها

وهذا الامر هو ان الوزارة الحالية سعت في الافراج عني . وهذا مخالفه

الواقع ولم تجرؤ هذه الوزارة ان تدعيه ولكن قوماً ادعوه لها وجرى ذلك على الالسنة وفي كتابة الكاتبين ، وعلى اقلامهم وهو غير صحيح

ولو كانت عودتي نتيجة لسعي فرد او لسعي حكومة لحكومة يحيى باشا ابراهيم لكنت حزنت بدل ان اكون الآن مسروراً (هتاف) حقيقة كنت احزن وكنتم تحزنون معي لان من تدعونه زعيما ، لم ينجده الا شخص كان على الحياد لا يهمه استقلالكم او استعبادكم

والحقيقة التي تملأ قلبي فرحاً والتي اسر بها كل السرور ان عودتي كان الفضل فيها لامتي التي غضبت غضبها الشديد وثارت ثائرتها وآلت على نفسها بعد اعتقالي الا يطيب لها عيش حتى يفك هذا الاعتقال (هتاف) وجاهدت كثيراً ووجدت في لندن من حزب العمال . ومن حزب الاحرار ومن حزب المحافظين انصاراً للحق والعدل فسمعوا صوتها وقاموا يناصرونها ونادوا في جرائدهم بظلم هذه السياسة وطلبوا ابدالها

وقد قرأتم خبر المكتوب الذي كتبه نحو مئة نائب من الاحرار ومن المحافظين ومن العمال يشكون من ان السياسة الانكليزية في مصر اساءت سمعة بلادهم في الدنيا

فللامة اولا شكري ، وعلى هؤلاء الاحرار ثانياً ثنائي . واني ارجوكم ان تعرفوا ذلك وتتأكدوه ولا تسمعوا للمقللين من شأن اولئك اذ يقولون انهم لم يطلبوا الاستقلال التام (هتاف ليحيى الاحرار)

نعم يجب ان تدعوا لهم بالحياة لاننا ونحن امة تجاهد الانكليز اقوى امم الارض نسر كثيراً ونبتهج اذ اوجدنا منهم انصاراً لنا

نعم ينصروننا الى حد محدود وذلك نعمة من الله فانهم ليسوا منا ولسنا منهم . انهم انكليز اذا غضبوا لظلمنا واحتلال بلادهم لبلادنا وطلبوا ان نستقل عنهم توفيراً للمصاريف وتخفيفاً للمشقات فذلك غير قليل

ولكن قوماً ساءهم ان تكون هذه الحالة ، هذه المساعدة نتيجة مسعانا

فتميزوا غيظاً فأخذوا يقللون من اهميتها ولو انصفوا لشاركونا في شكرهم ان كانت الحكومة الانكليزية القوية امام ضعفنا تبحث عن تفريقنا لتتمكن من حكمنا ، من غصبنا ، افليس الاولى لنا ونحن الضعفاء ان نستفيد عن يكون منقسما منهم علينا ويساعدونا ؟ نعم نفرح ونسر بهذا الانقسام ما دام لا يضر بمصلحتنا وفوق ذلك ينفعنا ويحصل مطالبنا ، وهو كذلك

اقول هذا لانني سمعت وقرأت ما كتبوه في صحفهم فرأيته متفقاً تقريباً مع مطالبنا ، على انه ان كان فيه بعض نزول عن مطالبنا فليس يعنينا ان نتفق معهم الا الى الحد الذي يفرقنا عنهم ونقول لهم : ساعدونا الى هذا الحد ونحن نطلب فوقه اكثر

ولكن مقابلة مساعدتهم بالاعراض ومعروفهم بالانكار لا يليق بنا ولا بانصافنا ولا بشعورنا . . اننا امة حية نتأثر بجميل كل اجنبي يمد يده لمساعدتنا ، ولذلك نثني الثناء الجميل عليهم

قلت لكم ان يحي باشا لم يدع ان له دخلا في الافراج عنا وذلك انه في يوم ٣١ مارس وهو اليوم الذي ذاع فيه خبر الافراج عنا — جمع رجال الصحافة (ولا ادري ان كان هنا من حضر هذا الاجتماع ام لا) فقال لهم : أخبرني اللورد اللنبي امس ان حكومته استشارته في الافراج عني الى اوروبا فأقر ذلك في يوم ٢٢ مارس ، يعني ان يحي باشا لم يكن يعلم لغاية ٣٠ مارس مساء ان الانجليز استشارت اللورد اللنبي في الافراج عني،ولا ان اللورد قبل ذلك الا يوم ٣٠

لم يكن ليحي باشا فضل مطلقاً ولا دخل له في الافراج عني وانما علم به بعد تقريره والاتفاق عليه بين (دار الحماية وحكومة انكلترا) بثمانية ايام

فالقول ان يحي باشا كان له دخل في الافراج عني خطأ مبين . وأرجو ان يتقرر ذلك . لانهم اذا فهموا ان يحي باشا كان له دخل في الافراج وأنا لا اسكت عن اعماله الضارة لبلاده اتهموني بأني منكر للجميل (هتاف)

الحمد الله اني معه حر ، ولم يكن له علي من فضل ولم يكن له « علي يد اغضي بها حين يغضب » فبيننا و بينه مصلحة البلاد ، ان قام بها كنا له من الشا كرين ، وان اعرض عنها او اضر بها كنا عليه من الحاملين

ومن الاسف انه لم يأت بخير للبلاد ، وكانت وزارته من اول قيامها الى الساعة وزارة لا تهتم بمصالح البلاد ولا تهتم الا بانتصار خصوم البلاد وعندي تفصيل لهذا الاجمال سيظهر عند سنوح الفرصة

اما الآن ووقتي ضيق ووقتكم نفيس فلست اضيع الوقت ، وأضيف الى ذلك ان ضعفي يمنعني من الاسترسال . الضعف الذي اخذت تزيله الافراح عني . حقيقة كنت قبل قدومي ضعيفاً وضعيفاً جداً (والتفت الى الصحفيين فابتسم) كنت اتوهم اني لا اقدر على الكلام فترة عشر دقائق او ربع ساعة في جمع حاشد ، كنت اتوهم هذا لضعف قوتي ، ولكني عند ما عدت الى بلادي ورأيت حالتها ، حالة الشباب الناهض ، حالة الشيوخ ، حالة الفتيان ، حالة النساء ، حالة الاطفال ، كل ذلك بعث في نفسي قوة ، قوة بالنسبة الى ما كنت عليه ، قوة كبيرة جداً

فالحمد لله على مرآكم وعلى ان قوتي استمددتها منكم ومن احتفائكم بي واقبالكم علي ، فكأن الله اراد ان تكون كل نعمة منكم كما ان غذاء نفسي منكم ، ووطنيتي منكم رغم انف الاتهام (ضحك)

الآن وقد قامت افراحنا وشغلت هذه الافراح جميع طبقات الامة عن شؤونها . فاني اختم هذه الاجتماعات بالشكر . اني أؤكد لكم ان كلمة الشكر لا قيمة لها عندي . (لان الانسان على شربة الماء يقول متشكر . وعلى ما ماثلها يقول متشكر) فانا لهذه الاحتفالات اقول متشكر (ما يجيش . اشوف انها ما تنفعش) نهايته شعوري متشكر . متشكر . متشكر) والسلام



احتفاء الناس بمعالي سعد باشا زغلول في مدينة المنصوره

— ٨ —

(الخطبة التي القاها معالي الرئيس في وفد دسوق)

(مساء السبت ٢٢ سبتمبر)

اني متشكر جداً لحضراتكم ، واني لتعروني هزة من السرور كلما فكرت اني قضيت مدة من شبابي في المعهد الدسوقي

تفضل خطيبكم بقوله اني تلقيت تعليمي الاولي في المعهد الدسوقي ، هذه حقيقة افخر بها كما يفخر هو . واني مدين للمعهد الدسوقي بشيء من التربية، وكذلك مدين لحضرة المرحوم الشيخ عبد الله عبد العظيم الذي جودت عليه القرآن : هو شيخي وأستاذي،وأنا ادعو الله ان يسكنه الجنان، كان رجلا فاضلا تقياً ، رحمه الله رحمة واسعة

اما بعد فان المسألة التي تشغل بالنا وبالكم هي مسألة الانتخابات واني انظر بمنتهى السرور الى حركتها القائمة بينكم : والى تسابقهم على مركز النيابة ، اني اشعر بأن هذا التسابق مهما كانت مظاهره علامة للحياة،وأحب ان ينمو هذا التسابق ، وأن كل من يشتم في نفسه رائحة الكفاءة يتقدم الى هذه النيابة ، ولكنني ارجو ان يكون الباعث الى الذين يتسابقون الى هذه المراكز هو الخير العام لا المظاهر ، ولا ان يقال ان فلاناً نائب عن جهة كذا ، ان كانوا يريدون خدمة بلادهم بما فيهم من اخلاص وكفاءة كان هذا التسابق دليلا على الحياة ، دليلا على رقي الامة، وأما اذا كان منشأ التنافس في المظاهر الكاذبة فان هذا يكون شراً على البلاد ، ولذلك ارجو ان تدققوا تمام التدقيق فيمن تختارونهم عنكم،لان المركز دقيق جداً ومحتاج لان يكون النائب اولا مخلصاً كل الاخلاص وفيه كفاءة ، ويجب عليكم ايضاً ان تنظروا

الى الذين تهاونوا في حقوق بلادهم ودل ماضيهم على انهم متساهلون فيها او متسامحون او انهم على الحياد لا يهمهم ان كنا نحصل على استقلالنا او ننتهي الى الاستعباد

هؤلاء يجب ان نحيد عنهم لانهم هم الذين اختاروا الحيدة ، وكذلك الاشخاص الحكوميون الذين يدورون مع القوة حيث دارت . والذين همهم ان يكونوا متقربين من الحكومة ، اجتنبوهم لانهم يضرونكم كل الضرر ، ما عدا هذه الاصناف فلكم انتخابهم على شرط ان يتوفر فيهم الاخلاص والكفاءة . واذا وصلنا الى هذا : اي ان يكون نوابنا جميعاً مخلصين وفيهم كفاءة يمكنهم بها ابداء آرائهم واستماع آراء الآخرين فيتبعون احسنها — اذا توصلنا الى هذا توصلنا الى غايتنا التي هي الاستقلال التام . والله يهدينا جميعاً الى ما فيه الخير العام .

— ٩ —

خطبة عظيمة لمعالي الرئيس

« القاها يوم الاثنين ٢٤ سبتمبر في وفد الغربية »

مرحباً بوفد الغربية مسقط رأسي ، مرحباً بأعضاء هذا الوفد الكريم ، فقد عرفت كثيراً منهم باخلاصه ، وصدقه وحماسته وتضحيته ، وقد كانت هذه المديرية ، التي افتخر بالانتساب اليها في مقدمة مديريات القطر وطنية وحماسة وسبقاً الى كل مكرمة ، عرفت وعرف الناس جميعاً هذا الفضل الجميل وهذه الصفات العالية ، وكانت الحكومة على اختلاف اشكالها تقاوم هذه الحماسة وتستعمل الشدة كلما رأت شدة الحماسة في طنطا وفي سكان الغربية الذين اصابهم كثير من الآلام بما انزلته بهم الحكومة من العقوبات . واول

ما استعمل الرصاص عقاباً على الهتاف للاستقلال . كان في طنطا ولا تزال قبور هؤلاء الشهداء شاهدة بهذه الآثام وكانوا يقابلون هـذه الحماسة بكل نوع من انواع القوة واخيراً في هذه الايام قوبلت جموعهم وافرادهم الذين خفوا لاستقبالنا بكل شدة ولكنهم ما استطاعوا ان يمنعوا امواجهم من ان تصل الى الشاطىء وجموعهم من ان تحتشد لاستقبال شخص هو منهم ! لا هو ملك ولا امير ولكنهم عرفوه فلاحاً ابن فلاح حملوه اماناتهم فاحتفظ بها.

يريدون ان يكتموا شعور البلاد لتقول الصحف الانجليزية ان الشعور بالاستقلال خف وضعف كما فعلت هذه الايام فهم اشبه برجل في رمضان يرى النور آتياً من النافذة فيغلقها ويأتي بالطعام فيأكله على انه سحور متوهماً انه ما دام هو في ظلامه فالشمس غير طالعة والسحور جائز ، كذلك هؤلاء يتوهمون انهم ما داموا يحاولون اخفاء الشعور فالشعور غير موجود

ان الحقيقة ظاهرة باهرة تقطع لسان كل مكابر وتغشى بصر كل مناقش ، الحقيقة ان الامة متحدة على ان تعلي منار كل شخص خدمها بصدق مهما كان منبعه ، متحدة على انها تحتقر كل شخص لم يهتم بصالحها . مهما كان مركزه ومهما كان مقامه في الهيئة الاجتماعية ، هذا الاتحاد سيوصلنا ان شاء الله الى الغاية التي ننشدها جميعاً ، نعم ان قوماً يدعون ان هذا الاتحاد ليس تاماً بيننا كذبوا فالاتحاد بيننا تام وليس ينقصه شيء لان الكل يطلب الاستقلال التام ، نعم ان هناك نفراً لا يطلبونه جهراً حرصاً على مصالحهم الخاصة ، ولكن لو فتشتم قلوبهم لوجدتموهم يميلون اليه سراً ، تتخيلون انهم ليسوا منكم ولكنهم في الحقيقة وطنيون غير محترمين . اما الذين خرجوا عن اجماعكم وظاهروا اعداءكم وأرشدوا الى طريق التنكيل بكم فهم اقل من القليل ولا يستحقون الا احتقاركم ، ولا ينبغي لكم ان تمكنوهم ان يكونوا زعماء فيكم فانهم لا يدلونكم الا الى الذلة والاستعباد

امامنا الآن عمل هام يتعلق به مستقبل البلاد الا وهو الانتخاب فقد وضع قانون الانتخاب كل عقبة في سبيله حتى لا ينتخب الا رجال مخصوصون واني آسف جداً ان ايدياً مصرية قد وضعت مثل هذه القوانين للانتخاب

سأفصل ذلك في فرصة اخرى لاني اخشى ان وقتكم لا يتسع لسماعها الآن (اصوات : يتسع . يتسع . ان خير اوقاتنا التي نسمعك فيها) . . . في كل بلاد العالم انتخاب المجالس النيابية مباشرة لا من درجتين ولا من ثلاث ، ولكن اعضاء لجنة الثلاثين رأوا ان الانتخاب لا يكون الا من درجتين لمجلس النواب ومن ثلاث درجات لمجلس الشيوخ . من اين اتى لهم هذا؟ قالوا في مذكرتهم الايضاحية ان بلادنا تعودت الانتخاب من درجتين وأن هذا النوع من الانتخاب اثمر ثمرة حسنة هذا غير صحيح . لان المراد من القواعد التي توضع للانتخاب ان تؤدي الى ان تكون الاغلبية بالاقل ممثلة ولكن الانتخابات التي حصلت سواء كانت لمجلس شورى القوانين او للجمعية العمومية لم تؤد الى هذه الغاية خلافاً لما زعموا وغريب ان يستدل المستقلون ايام استقلالهم بالقواعد التي وضعتها الحماية والاحتلال لنظام حكمهم

انا لا استطيع ان افهم ان دوائر الانتخاب جعلية لا طبيعية ولا اتصور ان يكون تحديدها راجعاً لهوى الادارة لا لحكم الامر الواقع

اساس الانتخاب عندنا فاسد لانه يجعل في يد الادارة وفي يد المأمورين والعمد تكوين الدوائر الثلاثينية ويقولون فلان وفلان وفلان يؤلفون دائرة ثلاثينية ويجب ان تنتخبوا واحداً منهم لا من غيرهم

هذه طريقة اخترعتها اللجنة ليكون للادارة يد في الانتخاب ويكون لهم هم حظ في النجاح بواسطة هذه اليد

وكذلك تحديد الدوائر المركزية فالامر فيه للادارة . الم تسمعوا شكاوى كثيرة من ان الذين بيدهم تحديد الدوائر كونوا دوائر معينة لاناس مخصوصين

لا مثيل لذلك في غير مصر ولجنة الثلاثين هي المسئولة عنه وسيكون لي معها كلام في غير هذا الاوان (اصوات تكلموا . تكلموا الآن عن ذلك فكلنا آذان) اقول لكم الآن انه لا يحل لمصري ان ينتخب واحداً من اعضاء هذه اللجنة التي احتقرت ارادة الامة فلا يجوز ان ينتخب اعضاؤها نواباً عنها

من الطبيعي ان وضع الدستور يجب ان يكون وفق ارادة الامة او كما قالت الجرائد يجب ان يكون الدستور وليد ارادة الامة

صاحت الجرائد وصحتم بهذه الحقيقة المقررة فجاءت وزارة ثروت وأنكرت على الامة هذا المبدأ وانتخبت ثلاثين عضوا من انصارها لكي يضعوا الدستور وقبل هؤلاء ان يشتركوا مع ثروت بالافتئات على حق الامة ولو انهم قالوا لثروت لا نفتئت على حق الامة ولا نقبل الاشتراك معك في هذا الافتئات كما فعل غيرهم من الوطنيين الذين عرضت عليهم هذه المهمة فأبوها

لو فعلوا هذا لاضطر ثروت ان يجعل وضع الدستور بواسطة جمعية وطنية لا بواسطة اشخاص مخصوصين ينتخبهم هو واحتقرت ارادة الامة فيهم

وهنا استطرد عبارة لحضرة عبد العزيز بك فهمي ولا اريد الطعن عليه لأني كما قلت لكم سامحت كل من سبني ولكني لا املك العفو عمن يفرط في حقوق البلاد ولا املك صلحاً عليها

جاء عبد العزيز بك فهمي وهو رجل متشرع وكان نقيباً للمحامين وقبل ان يكون عضواً في هذه اللجنة رغم احتجاج الامة على تعيينها وبرر وضع الدستور بمعرفة اللجنة التي انتخبها ثروت حيث قال في خطاب مفتوح لرئيس الوزراء يحيي باشا ابراهيم ونشر في جريدة الاهرام في مارس الماضي ما معناه

انه من المسلم به ان الدستور يجب ان تضعه الامة ولكن الامة لا يمكن ان تجتمع في مكان واحد لتضعه، فيجب ان يضعه نواب عنها وقد فطن حضرة عبد الخالق ثروت باشا لهذه الحقيقة فتطوع بالتوكيل عن الامة وقبل الملك

منه ذلك فصار ثروت باشا بناء على ذلك وكيلا عن الامة في وضع الدستور وخلفه في هذه الوكالة يحيي باشا ابراهيم

يعني ان ثروت باشا الوكيل له بصفته ان ينتخب لجنة الثلاثين ويفوض اليها وضع الدستور بمقتضى وكالته التي تطوع بها . فحضرة عبد العزيز بك فهمي لم يصحح بمهارته وعلمه الواسع توكيل ثروت عن الامة فقط بل عد التعرض له قرباناً الى الله سبحانه وتعالى واعتبر قبوله من الملك صحيحاً مع ان الشأن في الوكالة راجع للامة لا لغيرها ، ولكن رأى هذا حضرة نقيب المحامين السابق ، ومن عجب انه يحلل هذه الوكالة ويعدها تطوعاً في الوقت الذي ارتفعت اصوات الامة في جرائدها وخطبها واجتماعاتها بانكار حق وضع الدستور على ثروت ولجنته ، وهو الذي قدم استعفاءه من الوفد عقب سماعه من حضرة علي بك ماهر بأن بعض الناس يظن الضعف فيه ، وقال في هذا الاستعفاء ان ذمته تأبى عليه ان يستمر في وكالته عن قوم يسيء بعضهم الظن فيه ، فكيف ساغ للذمة التي لم تتسع للاستمرار في الوكالة عقب العلم بهذا الظن ان تقبل الوكالة في وضع الدستور من شخص انكرت الامة جميعها عليه حق الاستقلال بوضعه واحتجت بكل قواها على احتقار ارادة الامة في هذا الشأن ؟

هذه كفاءة من الكفاءات الواسعة ، فهل يراد انتخاب امثالها (اصوات كلا كلا)

ان فلاحاً طاهر القلب مخلص النية لخير لنا من رجل يبرر احتقار ثروت لارادة الامة بقواعد فنية ومبادىء علمه

اذن لا ينبغي لكم ان تنتخبوا واحداً من اعضاء لجنة الدستور لانهم اشتركوا بقبولهم العمل فيها في الافتئات على حق الامة واحتقار ارادتها

قد يجوز ان يقدم الانسان على امر ينفر الجمهور منه ويعتبر الاقدام عليه جرماً اعتماداً على شدة وثوقه بنفسه وقوة ايمانه بحسن هذا العمل وبأن

الجمهور ستنكشف له حقيقة امره فيغير رأيه فيه ويحسن مكافأته ، ولكن هل كان هذا حال اعضاء اللجنة عند ما خرقوا اجماع الامة واشتركوا مع ثروت في الافتئات على حقها ، كلا لان هذه اللجنة انتخبت لجنة فرعية مؤلفة من اوسعهم كفاءة وأرجحهم عقلا ، وأغزرهم فضلا لوضع مبادىء الدستور

وهؤلاء مع كون البلاد خارجة من حال استعباد اقامت فيها زماناً طويلا الى حال حرية ، ومن حكم اجنبي مكث يستبد بها عدة سنين الى حكم نفسها بنفسها ، ومع كون هذه الحالة ، كانت تستلزم رد فعل يحمل على التشدد في جميع مبادىء الحرية وفي كل ما يتعلق بسلطة الامة ، مع ذلك كله اجهد الثمانية عشر عضواً قرائحهم وكدوا عقولهم في بعث القواعد الرجعية من مراقدها ، ووضعها في مشروع حرروه وأرفقوا به مذكرة ايضاحية بينوا بها مآخذ المبادىء التي قرروها . والادلة التي حملتهم على تقريرها . ومن هذه المبادىء الرجعية جعل الانتخاب من درجتين لمجلس النواب ومن ثلاث درجات لمجلس الشيوخ ، وجعل بعض اعضاء مجلس الشيوخ معينين وحصر الانتخاب في طبقات مخصوصة كالوزراء ووكلاء الوزارات ومن يملكون نصاباً من المال مع ان الحال كان يقتضي الا يجوز انتخاب واحد من هذه الانواع لان الامة لم يكن لها دخل في انتخاب اولئك الوزراء ووكلائهم ولانهم اشتغلوا تحت الاحتلال وتحت الحماية وتعودوا الخضوع للاجنبي وتنفيذ سياسته ضد بلادهم الا القليل منهم لان اولئك الاغنياء قليلون والغل لا دخل له في رجاحة العقل وسعة الكفاءة

ومن ذلك ايضاً وهو غاية في الاهمية جعل الوزارة لا تسقط عند اقتراع عدم الثقة بها بل ترفع الامر الى الملك وهو يقيلها من مناصبها او يأمر بحل مجلس النواب. وقد عللت اللجنة ذلك بوجوب ضمان بقاء الوزراء في مناصبهم خصوصاً في الطور الاول من العصر الحاضر حتى لا يكونوا عرضة لاختلاف الاهواء ، فالريح التي يستميلها الناظر من مشروع ال ١٨ ومذكراته

الايضاحية هي ان هؤلاء اكبر همهم تسليط الادارة على الامة وضمان مراكز وزارة ثروت للوزراء وتقرير مسئولية الامة امام الوزارة لا مسئولية الوزارة امام الامة

فعلت لجنة الثمانية عشر هذا بكل جرأة ايام كانت وزارة ثروت ثابتة الاركان مؤيدة من الملك ومن دار الحماية وقدمته للجنة الثلاثين ، ولكن لم يلبث الامر حتى تزعزعت هذه الثقة تزعزعاً شعر منه ثروت وانصاره الا بقاء لهم وانهم بعد ان كانوا يظنون خلودها اصبحوا يتوقعون من يوم لآخر سقوطها. ولهذا سارعت لجنة الثلاثين الى تعديل كثير من المبادىء التي اشتمل عليها مشروع ال ١٨ وأخصها ما يختص بمسئولية الوزارة وضمان حقوق الافراد . ولا يمكننا ان ننسب ذلك الى ضغط الرأي العام كما توهمته بعض الجرائد عن حسن نية ولا الى تدخل الاثني عشر الباقين الذين منهم سعادة لملوم باشا السعدي والمرحوم محمود باشا ابو حسين وأبو رحاب باشا الذي ليس عندهم من الكفاءة العلمية مثل ما لاعضاء اللجنة الفرعية، ولكن الحق الذي لا مرية فيه والذي يعلمه الكثير من الذين تتبعوا ادوار هذه المسألة ان الفضل في هذا التراجع انما يعود الى جلالة الملك وشعور ثروت بعدم تمتعه بثقة جلالته السامية

وأمثال هؤلاء الذين شاركوا المفتاتين على حق الامة في افتئاتهم واحتقارهم لادارتها والذين لم يبالوا بمصلحتها عند ما تولوا شيئاً منها وفضلوا مصلحة ثروت على مصلحتكم ، واتبعوا انفسهم لايجاد قواعد يعتدون بها على سلطة الامة ويضمنون لثروت بها خلوده في الحكم لا يصح ان تولونهم ثقتكم . وتنتخبوهم نواباً عنكم ، بل يجب عليكم اجتنابهم واختيار من لم يكن لهم مثل ماضيهم ولا عليه مثل اوزارهم وفيه اخلاص للبلاد وكفاءة تعينه على القيام بمهمته في البرلمان ، ومن شعر في نفسه منكم عدم الكفاءة يجب عليه ان يتنحى لغيره فذلك اصلح لعملكم، وأليق بشأنكم وأقرب الى الوصول الى غايتكم

واعلموا اني اذا تشرفت بالنيابة عنكم لا يكون لي الا صوت واحد ، وتكون القوة كلها في الاغلبية فاجتهدوا في ان تكون هذه الاغلبية مخلصة لكم وفيها كفاءة للتعبير عن آمالكم ، وفقكم الله لما فيه خير البلاد

— ١٠ —

خطبته في حفلة شبرا في مساء يوم الثلاثاء ٢٥ سبتمبر

سادتي . أبنائي :

لم أتشرف بالحضور اليكم لاخطب فيكم . ولم يكن هذا مقصدي ولكني علمت بأنكم احتشدتم للقائي وأنكم احتفلتم بقدومي فأردت أن أحضر هذا الجمع الحاشد لاشاهد تلك الاحتفالات الباهرة ولاجل أن أشكركم جميعاً عليها . حضرت لاشكركم لا للترشيح لان الخطباء الذين سبقوني الى القول هم الذين كلفوا بالخطابة في موضوع الترشيح . أما أنا فمعافى من هذه المأمورية . ولكني اطاعة لطلبكم وأمركم اعتليت المنبر لاسماعكم شكري من كل قلبي وأرجوكم أن تبلغوه سكان شبرا التي لها الفضل علي ولا أنساه ...

انتخبتني للجمعية التشريعية أولا . وكانت بعد ذلك محل خطاب القيته فيما يختص بالمفاوضة الرسمية الذي قلت فيه أن المفاوض الرسمي يجب أن يكون من المختارين من الامة . وأن تكون الرئاسة في المفاوضين لمنتخب الامة . لانها ان كانت في رئاسة الحكومة يكون معنى ذلك أن جورج الخامس يتفاوض مع جورج الخامس

وقد غضب عدلي وزملاؤه لهذا الوصف وقالوا سبنا الرجل وعادى الحكومة. ما نحن معينين من طرف الانجليز وليس للانجليز يد علينا ونحن أحرار نفاوض أحراراً . ولكن تبين بعد ذلك أن عدلي باشا قبل أن يتعين

وزيراً وقبل أن يتعين للمفاوضة قدم مذكرة في ٥ مارس سنة ١٩٢٠ للوكالة البريطانية قال فيها انه لاجل نجاح المفاوضة يلزم تأليف وزارة تنقسم الى قسمين : قسم يبقى هنا وقسم يذهب الى لندن. وتكون مأمورية القسم الذي يبقى هنا أن يوجه الرأي العام الى الوجهة التي يحصل الاتفاق عليها في المفاوضات الرسمية

وبناء على هذه المذكرة التي قدمها عدلي باشا للوكالة البريطانيةاشير على نسيم باشا في ذلك الوقت بالاستعفاء وحل محله عدلي باشا في الوزارة . وقسمت الوزارة كما جاء في تلك المذكرة الى قسمين : قسم ذهب الى لندره وقسم بقي هنا. وقد علمتم وعلم سكان القطر المصري كيف أن هذا القسم الذي بقي هنا تحت رياسة عبد الخالق باشا ثروت وجه الرأي العام . لقد وجهه بالقسوة وبالعنف ، بالشدة وبازهاق الارواح ، بحوادث أسيوط وحوادث جرجا. بجميع ما أمكنه من قهر وارهاق. بقي هنا لا ينتظر شيئاً آخر سوى أن هذه الوسائل : وسائل القهر والارهاب تنجح في اماتة الحركة الوطنية . وفي حمل سكان القطر المصري على قبول نتيجة المفاوضات التي كان يراد الاتفاق مع الانكليز عليها . . . ولكن الله حمى القطر من كيدهم وجاء النواب الاحرار وشاهدوا بأنفسهم أحوالكم وحركتكم ، ونهضتكم ، واتحادكم ، وشاهدوا أنكم تريدون الاستقلال ولا تريدون عنه بديلا (هتاف وتصفيق)

شاهدوا ذلك فرفعوا الامر الى أمتهم . وقالوا ان كل اتفاق مع غير أغلبية الوطنيين الساحقة — أي أن كل اتفاق على غير الاستقلال الصحيح — لا يمكن أن ينفذ . بناء على ذلك أعلنت انجلترا المفاوضة . وقالوا لا يمكننا أن نتفق لان كل اتفاق يجري مع عدلي باشا يكون نصيبه الرفض من الامة المصرية

انقطعت المفاوضات . وغضب الانجليز منا لانهم كانوا يعلمون كثيراً من الآمال على نجاحها . وظنوا واعتقدوا أن الذي أخر نجاح المفاوضة وخيب آمالهم فيها هو الوفد المصري ورئيسه . ولذلك قالوا في المذكرة التي رفعوها لجلالة الملك أن هؤلاء المشاغبين هم الذين بشاغبتهم حالوا بين المفاوضة والنجاح ، ولذلك يجب التشديد عليهم ومعاملتهم بكل قسوة . . وبعد هذا حصل النفي الذي تعرفونه . فالنفي انما كان عقاباً من جهة على أننا وقفنا حجر عثرة في سبيل نجاح المفاوضة . ومن جهة أخرى كان يقصد به الوصول الى اطفاء الحركة الوطنية . والى اطفاء الحمية في صدوركم فما زادكم النفي الا ثباتاً . وما زاد النهضة الا نهوضاً . وما زاد الحماسة الا حماسة . وما زاد نار غيرتكم الا اشتعالا (تصفيق)

أرادوا أن يخضعوكم لرأيهم فما خضعتم وزدتم اباء . أرادوا أن يذلوكم فما ذللتم بل زدتم عزة وكرامة . أرادوا أن ينفونا من دياركم فحفظتمونا في قلوبكم . أرادوا أن يمحوا أثرنا . وأن يطمسوا رسمنا فحافظتم على كل ذلك في أفئدتكم وفي مشاعركم

ولما رأوا أنفسهم عاجزين عن الفصل بيننا . عن أن يقطعوني منكم ويقطعوكم مني . وعجزوا عن أن يغيب حبكم عني وأن يزول حبي لكم . لما عجزوا عن كل هذا وقامت الادلة القاطعة على ذلك وعلى أنكم متشبعون باستقلالكم وأنكم جعلتم هذا الضعيف وزملاءه رمزاً لهذا الاستقلال ، لما عجزوا عن ذلك بعد ما استعملوا كل وسيلة أعادونا . ولما عدنا فرحتم . فرحتم جداً وساءهم أن يكون فرحكم بالغاً حد النهاية فاتخذوا الاحتياطات الشديدة لمنع ظهور ذلك الشعور ، ولكن الله خيب آمالهم رغم شدة الاحتياطات ورغم شدة الاجراءات ولم يمكنهم أن يحجبوا نور الشمس عن الظهور

عدت أشكو الضعف واعتلال الصحة ولكني لما وجدت بينكم وشعرت

بحرارة أنفاسكم وحرارة قلوبكم وبسروركم المتدفق من قلوبكم — عادت لي القوة (تصفيق حاد وهتاف متواصل)

وصرت بحمد الله أقوى من قبل . وصرت لا أشكو شيئاً الا بعد الاستقلال عنا وازددت عزماً عند ما رأيت عزائمكم متحدة ورجعت الى الشباب لان الشباب مصدر هذه القوة الظاهرة الواضحة . وأبنت لكم رأيي في بعض المسائل فهاج هائج القوم وقالوا زغلول عاد يهيج ويثير النفوس ويلقي الاضطراب في الامة ولم يستفد من النفي فائدة (ضحك)

قالوا نفينا زغلول ولكن النفي لم يكسبه شيئاً فعاد أشد عزماً مما كان وصار أكبر مهيج للامة ولكني أقول رداً على قولهم اني لم أكن يوماً من الايام مهيجاً ولا ثائرا . لم أكن مهيجاً قط ولا اميل الى التهيج ولكني أبين الحق الذي أعتقد أنه حق . وهذه مأموريتي التي أشعر بأني انتدبت لها . ومن المحال علي ، وهذه مأموريتي في هذا الوجود — أن اكتم حقاً اعتقدته مهما كانت نتيجة بيانه ضدي ومهما أنتج من الضرر لشخصي . لاني اذا أصبت بمكروه في سبيل هذا البيان فذلك كل سعادتي (أصوات حماك الله ، حماك الله)

قد قلت قولة في تصريح ٢٨ فبراير وما تبعه من القوانين المخالفة للحرية والمضرة بالاستقلال . قلت هذا وكان بياني مؤيداً لشعوركم . وكان ما أتيت به من حسن حظي هو ما شعرتم به قبل قدومي . . . رأيت اجماعاً منكم على رفض تصريح ٢٨ فبراير وعلى عدم قبوله فما فعلت شيئاً الا أني وضحت هذا الشعور ، ولكن القوم ساءهم أن يعود زغلول الى مصر وأن يتكلم ضد تصريح ٢٨ فبراير

في اليوم الذي أصدروا فيه هذا التصريح نفوني الى سيشل . ولاجل ان ينشروا بينكم أني تحركت اليها فعلا جاءوا في الساعة التاسعة صباحاً وكنا في قلعة عدن مسجونين وقالوا يجب أن تنزلوا في الساعة ١٠ ونصف في مركب حربي ينتظرك ليتوجه بك الى سيشل وأمامك ساعة ونصف تحزم متاعك

فيها وتركوني وتولينا حزم متاعنا في هذا الوقت القصير ونزلنا في مركب حربي حمولته ٩٠٠ طن (كزورن) ولكننا لم نسافر في هذا اليوم (يوم الاربعاء) بل مكثنا فيه الاربعاء والخميس وسافرنا يوم الجمعة مساء

أنزلنا في يوم الاربعاء لكي نسافر الى سيشل ولكننا لم نسافر الا في يوم الجمعة لاجل أن يقال أن زغلول نزل الى البحر وهو في طريقه الى سيشل . فعلوا ذلك في اليوم الذي أعلنوا فيه تصريح ٢٨ فبراير وأن مصر استقلت وألغيت الحماية التي ضربت عليها

كان يكون من نتيجة هذا التصريح الطبيعية ان يعاد المنفيون وأن تلغى الاحكام العرفية ولكنهم أعطوا بهذا الابعاد في ذلك اليوم للناس جميعاً دليلا محسوساً على أن قولهم ان مصر مستقلة وأن الحماية الغيت — كلام غير مطابق للحقيقة أعمى الله بصائرهم وطمس على قلوبهم فجعلهم يقدمون بأيديهم الدليل على أنهم غير صادقين

أنزلنا في السفينة التي حمولتها ٩٠٠ طن وأنا يصيبني الدوار في البحر فكانت السفينة تهتز وتميل وكنت دائماً على الفراش لم أملك نفسي . وكان حضرة مكرم بك عبيد بجانبي هو الذي يواسيني بلطفه وحسن مجاملته . كان حقيقة لي أبر من ابن (يحيي مكرم)

اخذونا في ذلك اليوم وقد كان من المقرر أن نسافر جميعاً بعد خمسة أو ستة أيام ولكنهم ما انتظروا بنا حتى يأتي هذا اليوم . ما انتظروا بل عجلوا بسفري مع مكرم ومع خادمي وسرنا في هذه السفينة مسافة ستة أيام كدت أن أشرف فيها على الهلاك (لا قدر الله ، لا قدر الله)

أخيراً وصلنا الى جزيرة سيشل . ولا أحدثكم عن حرارتها ورطوبتها وبعدها — بعد ستة أيام وصل اخواننا الباقون فكان لوصولهم سرور لا يوصف عندهم وعندنا ومكثنا معاً في هذه الغربة

وكان وجودنا معاً يخفف كثيراً من الالم . وكان اخواني يبذلون غاية جهدهم في مواساتي ومجاملتي (أصوات فليحي أصحاب سيشل فليحي أصحاب سيشل)

كانوا يشددون علينا تشديداً كبيرا الى حد انهم حرموا علينا أن نتكلم في الصحة وأن نكتب في الهواء وحجروا علينا هذا فكان لا ينبغي لنا أن نقول بأن صحتنا غير جيدة — ولا يصح لنا أن نقول ان هواء سيشل غير مناسب . لانه معتبر أن التكلم في هذا ضد النظام العام

مكثنا ممنوعين عن الكلام في الصحة وكنا نحتار حيرة شديدة عند ما نسأل تلغرافياً من مصر عن الصحة والطقس الى أن كتب لنا الحاكم العام للجزيرة بأن حكومة جلالة الملك قررت أن يسافر زغلول مع خادمه سفراً يطول أمده واحد وعشرين يوماً على سفينة حربية تأتي غداً الى سيشل متحملة الى حيث هذه الجهة

غضب اخواني وحزنوا لهذا التقسيم وطلبوا أن نسافر مع ان الجواب يقول انه لضعف صحة زغلول تقرر نقله الى جهة أخرى . . . كأن صحة اخواني لم تكن تقتضي ذلك . والحقيقة أنها كانت تقتضيه لكنهم لم يريدوا أن يشعروا بهذا الاقتضاء

غضب اخواني . حزنوا . استاءوا . احتجوا — احتجوا لانهم شعروا بحزن شديد لانفصالي عنهم . احتجوا وكانت نتيجة هذا الاحتجاج أنهم منعوهم من السفر وأباحوا لطباخي أن يسافر معي . لم يريدوا أن ينزلوني في السفينة نهاراً خشية احتشاد سكان الجزيرة . وأنزلت في زورق ومنع اخواني من أن يصحبوني الى السفينة الحربية . سرت بهذا الزورق الى السفينة ولما وصلت اليها وجدت القومندان والضباط في انتظارنا . ولما أدخلت فيها جاءني القومندان وسلم علي سلاماً طيباً ولكنه فتشني بعد ذلك وسلمني الى ضابط ليرشدني الى الحجرة التي أعدت لي . سار بي الضابط الى هذه الحجرة فرأيت أنها حجرة ليست ضيقة وليست متسعة ونظيفة نوعاً . ولو

أنها ليست من أحسن الحجر . وقال لي الضابط ان هنا محل نومك وقد أعد لك محل آخر عند المدخنة يمكنك ان تصعد اليه عند اللزوم . ولا يمكن أن تدخل غير هذين المكانين . والسفينة حربية ليس فيها غير العساكر والضباط وكلهم انجليز . وقال لي يجب أن تتبع هذه التعليمات وهي أن لا تخاطب احداً في السفينة ولا ينبغي لاي واحد أن يخاطبك ثم قال انه قد وضع في خدمتك صف ضابط لاجل توفير لوازمك وخدمتك ففرحت ولكن زاد على ذلك أني لا أستطيع ان أكلفه بأمر يقتضي قضاؤه البعد عني . واذا عرضت لك حاجة عند القومندان فلا تكلمه بنفسك وانما تكلم هذا الصف ضابط وهو يرفع الامر الي وأنا أرفعه الى القومندان (أصوات فليسقط الاستبداد)

ويجب عليك أن لا تحمل شيئاً من أدوات الكتابة لا قلم ولا دواة ولا ورقاً ويجب أن لا تكتب الا اذا استأذنت القومندان ولا ينبغي لك أن ترسل الكتابة الى محلها الا بعد عرضها عليه والاذن لك بارسالها . ولا ينبغي لك أن تأكل الا في احد هذين المحلين . وان أكلك يجب أن يفحص عند احضاره بمعرفة ضابط مخصوص . وأن هذه التعليمات يجب أن تستمر في المرحلة الاولى من سفرك ويمكن أن تعدل بعدها في المراحل الاخرى . وأنه يجب عليك أن تلزم الحجرة ولا تخرج منها الا اذا أمرت بذلك

سألت عن الجهة التي نحن متوجهون أو مساقون اليها فقالوا لا يمكننا أن نقول لك ذلك

مكثت وحدي بين السماء والماء لا جليس ولا أنيس مطلقاً . وكان فكري محصوراً فيما هي الجهة التي أنا مساق اليها . وكنت سمعت قبل السفر بأشاعة أنها جبل طارق التي سمعت عنها من بعض اخواني بأنها صخرة جرداء شديدة الحر . بها حصن وبجانبها قرية صغيرة لبيع الدجاج والبيض

مكثت حائراً في أمر الجهة التي أنا مسافر اليها وكلما تصورت أنها جبل طارق اشتد كربي

مكثت ١٦ يوماً في هذه السفينة أتصور جبل طارق . ولم يحدث لي في حياتي مدة تألمت فيها أكثر من هذه المدة

انما الشهادة لله ان الطبيب كان معتنياً بي وكان يزورني كل يوم

وقبل وصولنا الى السويس أمرت بالنزول الى الحجرة وأغلقوا نوافذها وقطعت السفينة القنال ليلاً بسرعة غير عادية

سارت السفينة بمقدار ٢٠ عقدة حتى عبرنا القنال في مسافة ٧ ساعات ونصف أو ثمان وهو يقطع عادة في ١١ أو ١٢ ساعة . وسرنا تواً الى جبل طارق . وبعد أن وصلنا اليه اخبرت بأن هناك منزلا معداً لانزل فيه كضيف لا كسجين . وحقيقة رأيت استقبالا جميلا . وأخذت الى منزل فسيح فيه حديقة فرأيت بعداً شاسعاً بين ما قاله عاطف بك عن جبل طارق وبين الحقيقة

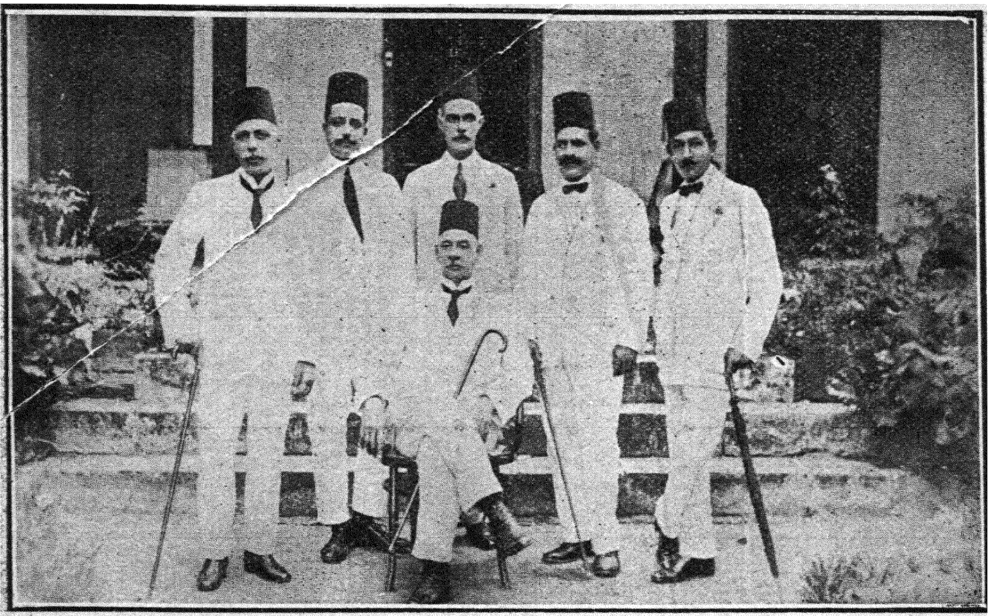
هذه اسوأ مدة مرت بي في السجن واما المدة التي تلتها فاني كنت متألماً جداً لانفصالي عن اخواني حتى اضطررت الى رجاء حرمي ان تلحق بي وبعد حضورها خف عني الالم

هذا شيء من قصتي في المنفى . ولا يمكنني ان اقص جميع الحوادث لان ذلك شرحه يطول ولكني لما رأيتكم متشوقين لسماع شيء عنه اسمعتكم هذا

الآن عدنا من المنفى واجتمعنا بكم ورأينا من السرور ما رأينا وشعرنا من الفرح ما شعرنا به . واني حقيقة مبتهج جداً والسرور يتدفق من قلبي لا لهذه الحفاوة فقط بل لتلك الروح التي اشعر بها فيكم ، في اجتماعاتكم وفي احتفالاتكم . ولما احسه منكم بأن الروح المعنوية قوية جدا فيكم . وانها دائماً في نمو عظيم ولذلك فان هذا يبشر بانجاح النهضة نجاحاً تاماً ان شاء الله

(تصفيق حاد)

اما الامر الذي يهمنا جميعاً الآن فهو الانتخابات ولا يمكن لمصري ان يتهاون فيها او يتسامح . لا يحل له ان يتسامح فيها حتى لابيه او لاخيه او



معالي الرئيس وصحبه في منفاهم في جزيرة سيشل بملابس الصيف

لابنه . ان كان يرى في واحد من هؤلاء عدم كفاءة أو عدم اخلاص فلا يحل له ان ينتخبه او ان يعين على انتخابه لان هذا يكون جريمة ضد الوطن

الوطن يطلب ان يكون المنتخبون مخلصين اولا وفيهم الكفاءة ثانياً : فيهم اخلاص حتى لا يتسامحوا في حقوق الامة وفيهم كفاءة ليستطيعوا ان يعبروا عن آمالكم وعن آرائهم وليقيموا الحجة على هذه الآراء هذه الكفاءة هي التي اطلبها ، هذه الصفات هي التي يطلبها منكم الوطن . يجب ان تتحققوا من توفرها في من تولونه نائباً عنكم

لم يكن قصدي ان احضر هذا الاحتفال وأخطب فيه ولم يكن قصدي ان ازكي احداً ولكني لما رأيت هذا الاجتماع الكبير وهذا الاحتشاد العظيم . ورأيت فيه ميلا الى ترشيح الدكتور نجيب اسكندر فرحت لأني اعرفه شخصياً وأعرف كثيراً من مواقفه التي اشار اليها حضرة نقيب المحامين. وسررت من ان يكون نظري موافقاً لنظركم وأن يكون رأيي موافقاً لآرائكم ولكن لكم الحرية في ان تنتخبوا غيره اذا رأيتم انه اكفأ منه وأن موقفه احسن من موقفه . ولو رأيت في هذا الحي افضل منه لعرضته

انا حقيقة لم يكن من قصدي ان احضر الحفلات الانتخابية مطلقاً ... لماذا ؟ لسبب واحد وهو ان صحتي ضعيفة والاحتفالات الانتخابية كثيرة . واذا ذهبت في احداها لزمني ان اذهب الى الاخرى لانه لا يمكنني ان اختار البعض دون البعض الآخر

لاجل ذلك عزمت ان استميح العفو عني من حضرات الذين يعقدون الاحتفالات الانتخابية

وأؤكد لكم اني حضرت هذا الاحتفال المملوء انساً وسروراً لانهم اعلنوا اني سأحضر فاستعد الناس للقائي

غير اني ارجو ان لا يتخذ الناس حضوري هذا الاحتفال سبباً يتمسكون به علي فيلزموني بحضور كل احتفالاتهم وان كان هذا اكراها محبوبا (ضحك)

وأنتم الآن بين امرين : اما ان تقنعوا اخوانكم الآخرين بعدم قدرتي على حضور احتفالاتهم لأن صحتي لا تساعدني على ذلك او تكتموا عنهم حضوري اليوم بينكم (ضحك وهتاف لمصر وللرئيس وللاستقلال التام)

— ١١ —

« خطبته في وفد ارمنت في ٢٦ سبتمبر »

ارى بكل سرور اني في وسط وفود يمثلون هيئات مختلفة، يمثلون العمال والصناع والفلاحين والشباب الناهض . هذه الجموع . وهذه الوفود يحويها هذا المكان الصغير الذي كنت اتمنى ان يكون واسعاً حتى تأخذوا مكانكم وتستريحوا ولكن مع الاسف مكاني اضيق من ان يسعكم ويريحكم ولذلك اشعر بنوع من الاسف لانكم في تعب من الوقوف (اصوات كلا . كلا . نحن فداؤك يا سعد)

اشكر لوفد ارمنت الذي حضر من مكان بعيد لزيارتي وتهنئتي بالعودة (هتاف فليحي الرئيس الزعيم) اشكر له هذا التعب الذي تحمله في سبيل تهنئتي . ولقد اكرم وفادتي سنة ١٩٢١ واجتمع لاستقبالي رغم تلك القوة الغاشمة التي ساقها ثروت بقيادة بدر الدين لمنعوا الناس من الاحتفال بي ولكنهم رغم ما استعمل ضدهم من شدة وقسوة وقد اجتمعوا واحتشدوا وهتفوا وكان احتفالهم جميلا شائقاً اكرموني احسن الله جزاءهم ، وشكر الله سعيهم

— ١٢ —

« خطبته في وفد العمال في نفس الليلة »

اني ارحب ايضاً بوفد العمال الذين هم اهم ركن في الهيئة الاجتماعية ، وفي هيآتنا المصرية : ان عمال الانجليز خدموا القضية المصرية ، وخدموا قضية اعادتي واني مدين للامة المصرية، بالجهاد في سبيل اعادتي اولا ثم الى حزب العمال الانجليز ثانياً ، نعم اننا نجد هنا قوماً يضعفون من شأنهم ويقولون انهم انجليز على كل حال ولا ينبغي ان نعتمد عليهم ولكن هذا قول غريب ، نعم ان هؤلاء العمال انجليز ولكنهم يرون ان سعادة امتهم ، وخير مستقبلها في ان امتهم لا تحتل بلاداً اجنبية او تطمع في مال الغير حتى لا يرهقوا دافعي الضرائب . هذا هو مبدأهم وهو مبدأ نافع جداً . ومطابق لسياستنا وأمانينا ، اذا وجدنا من الامة الانجليزية فريقاً بجانب المستعمرين منهم يريد تركنا احرارا مثلهم ، الا يجب أن نصادقهم ونواليهم؟ إنهم أعوان على تحقيق أمانينا ، والذين يقولون بغير ذلك إنما يقولونه لغاية خاصة . ولاضعاف مساعينا ونحن إذا كان يسرنا ان نجد من الامم الاخرى من يساعدنا فمن باب اولى اذا وجدنا بين خصومنا فريقا ينتصر لنا نشكر الله على ذلك لان فيهم نفعاً كبيرا ، ولقد كان لعمال الانجليز فضل كبير في انهم ابانوا لامتهم ولحكومتهم عسف السلطة الانجليزية هنا وأنها تحكمنا بالقهر والاستبداد واننا ساخطون على الحكومة الانجليزية وعلى سياسة العنف والطمع التي تضر بسمعة الامة الانجليزية نفسها ، قالوا هذا ونحن مدينون لهم بهذا القول لانه حقيقة ولانه يجب علينا ونحن طلاب حقيقة ان نشكر كل من ابان الحقيقة وانتصر لها،ولقدكان لكم ايها العمال فضل كبير لا انساه في الحركة الوطنية،

وقد ساعدتم باحتجاجاتكم المتوالية هذه النهضة وساعدتم على اظهار ان ما اصابنا انما هو عسف واستبداد لا مبرر له فلكم ولاخوانكم مني ومن زملائي الذين اصابهم ما اصابنا اجزل الشكر وأوفاه

— ١٣ —

« خطبته في وفد طلبة الحقوق في نفس الليلة »

اشكركم على حضوركم لتهنئتي وأتقبل هذه التهنئة بكل سرور وأرحب بأبنائي طلبة الحقوق الذين هم رجال المستقبل والذين سيدافعون عن حقوقكم الخاصة وحقوقكم العامة ، ولي امل كبير فيهم وفي جميع الطلبة الذين يتلقون العلوم العديدة في المدارس المختلفة، وأعلق على نبوغهم ونجاحهم في دراستهم بالنسبة لمستقبل البلاد اهمية كبرى

جاء في قول بعض خطبائكم انهم يريدون ان يخنقوا صوتي واني ارى في الجرائد الانجليزية حملة شعواء حملتها هذه الجرائد ضدي وقالت ان هذا الرجل العليل الذي كان يجب ان لا يتحرك ، وقد تحرك بعد عودته حركة عنيفة ، وهو يلقي كل يوم خطبتين يهيج الشعب المصري بهما ضدنا وانه يجب منعاً لاشتعال النار اعتقاله ، الم تقرأوا ذلك اليوم ؟ (نعم . نعم)

اليس هذا دليلا على انهم لم يكونوا جادين في دعوى استقلالنا ؟ (اصوات نعم . نعم) اليست اشارة الجرائد الانجليزية الآن بوجوب اعتقالي اتقاء للشر الذي يتوهمونه برهاناً على ان الاستقلال الذي يدعونه لمصر استقلال مزيف لا حقيقة فيه ؟ والا فكيف صح لجرائدهم ان تطلب ان يعتقل زغلول الذي هو تابع لحكومة مستقلة كما يدعون !

ما هذه المتناقضات؟ يقولون انكم مستقلون وزغلول الذي يقول ان هذا الاستقلال لا حقيقة له يجب ان يعتقل ، حينئذ امة زغلول ليست مستقلة والا فكلامهم فارغ لا قيمة له كما لو قلت الآن يجب ان تعطل هذه الجرائد ، ولكننا اذا قلنا ان تهديدهم هذا لا قيمة له لاننا مستقلون اجابوا ان عساكرنا موجودة في مصر، ولهذا السبب نحن ننكر هذا الاستقلال المزيف لانه استقلال بالنبوت، هم يقدمون لنا الدليل على انه بالنبوت ولم يكن النبوت يوماً من الايام وسيلة من وسائل الاقناع

كنت احب ان يقولوا بدل عبارة اعتقلوا فلاناً ، اقنعوه بأن مصر مستقلة . قد جربوا النفي فلم يجد نفعاً فوجب ان يجربوا طريقة اخرى انجع منه ، على اني مستعد للاعتقال فليعتقلوني (اصوات فلتحي التضحية) ليست هذه تضحية ولكني مستعد للاعتقال لاني اعلم ان اعتقالي منمي للنهضة اكثر من كل الخطب ، فليعتقلوني لانني لا يمكنني ان اعتقد استقلالهم

— ١٤ —

« خطبته في وفد امبابه في نفس الليلة »

تقبل الله دعاءكم ، وضاعف ثوابكم، وأجزل شكركم فقد شرفتموني بهذه الزيارة ، . انتم من لجان الانتخابات ، والعمل الذي امامكم الآن هو عمل جليل جداً ويتعلق عليه مستقبل البلاد، ولذلك ارجو ان تكونوا قد وفقتم الى النظر فيمن يكون نائباً عنكم، واني اتلقى بيد الاهتمام طلبكم وسأبحثه مع الوفد الذي اليه المرجع في النظر في مسائل الانتخابات ، سيبحث الوفد فيه وبعد ان يقر قراره ، يعلن هذا القرار اليكم

اما الآن وقد فوجئت بما جئتم له ولا اعلم من امره شيئاً ،فلا يسعني الا ان ارجوكم ان تمهلوني بضعة ايام حتى يبحث الوفد الموضوع ويعطي قراره فيه ، وانما الذي اطلبه منكم الآن وأرجوكم ان تعملوا به هو ان تحضروا غداً في مركز الانتخابات لتعطوا اصواتكم للمندوبين الذين لهم الحق في انتخاب اعضاء مجلس النواب،ويجب على كل شخص ان يحرض غيره على الحضور لتتشاوروا فيما بينكم . فاذ انتم انتخبتم الناخبين الصالحين امكننا ان نأمل توفيقهم الى اختيار المخلصين الاكفاء للبرلمان

هذا ما ارجوه وفي الختام ارحب بكم كل الترحاب

— ١٥ —

« خطبته في وفد موظفي التلغراف في نفس الليلة »

ارحب ايما ترحيب بقدوم مندوبي موظفي التلغراف لأني وجدت هؤلاء الموظفين خداماً صادقين للقضية الوطنية وكنت اشعر من الاشارات التي اتلقاها باخلاصهم وبقوة ايمانهم بنجاح القضيةالوطنية ، وقد كانوا دائماً نقطة الاتصال بيني وبينكم . وهم الذين كنت دائماً اقف بواسطتهم على حوادث البلاد وأحوالها فأطلب من الله ان يجازيهم احسن الجزاء ، واني اذكر انهم اوقفوا اعمالهم مدة للاحتجاج على نفيي ، فأنا افتخر بهم وأطلب سعادة الاستقبال لهم ولجميع المصريين بل لمصر والسودان(فلتحيي مصر والسودان) وأرجو تبليغ سلامي لجميع اخوانكم سواء كانوا هنا او بعيدين بالتلغراف

— ١٦ —

« خطبة معاليه في وفد العباسية مساء ٢٩ سبتمبر »

قد احسنتم كل الاحسان بانتخابكم حضرة صديقي وزميلي صاحب المعالي حسن حسيب باشا لان يكون نائباً عنكم في البرلمان القابل . واني اهنئكم على هذا النظر الصائب ، لانه رجل جد وعمل ، تقلب في وظائف كثيرة أدارها بحزم وعزم . وقد كان اخيراً مندوباً عن الوفد في لوزان ، ورئيساً لذلك الوفد ، فقام بمأموريته بكل اخلاص ، وبكل صدق ومهارة . ثم تقدم الى الوفد فقبل عضويته في الوقت الذي كانت العضوية في الوفد عبارة عن استعداد للاعتقال . اصوات لتحي الضحية)

كدت بعد اعتقال الوفد الثالث أن يضعف أملي في أن يتقدم وفد رابع ، ولكن ما لبثت أن أتت لي الانباء بتأليف الوفد ، فأكبرت هذه الهمة ، لان ذلك الوقت كان عصيباً ، وكان يعتقد خصومنا أنه لا يتقدم أحد ليخلف من كان مسجوناً ، ولكن حسيب باشا وزملاؤه خيبوا اعتقادهم . وتقدموا لعضوية الوفد بلا خوف ولا وجل . وهي همة وبطولة يجب أن تذكر للعاملين وتشكر . ولذلك فاني مغتبط أشد الاغتباط بترشيحكم هذا الهام لان يكون نائباً عنكم في البرلمان

قد حذركم من أشدكم هذا النسيد المؤثر البالغ من الدسيسة والدساسين ، وحقيقة يجب علينا في هذا الدور أن نحذر الدساسين ونحذر اللاعبين بعقولنا

انهم جعلوا الانتخابات من درجتين ليسهل عليهم أن يعبثوا بهذه العقول ، ولو ان الانتخابات من درجة واحدة ، وكان يوم ٢٧ سبتمبر الفائت هو اليوم المعين للانتخاب لوجدتم القطر المصري كله ينتخب نوابه حالا من امثال حسن باشا حسيب (هتاف وتصفيق) . ولكنهم ارادوا ان لا يكون الانتخاب

انتخابا مباشراً، بل من درجتين حتى يتمكنوا بعد الدرجة الاولى من استمالة الناخبين المندوبين اليهم . . . هذه هي حقيقة قصيدهم ، ولذلك يجب علينا نحن الناخبين المندوبين في هذا الدور، ان نقتدي بالناخبين الأولين ، الذين برهنوا باقبالهم على الانتخاب وانتخابهم المخلصين، انهم يقدرون مهمة البرلمان حق قدرها ، علينا نحن الناخبين المندوبين ، ان نقيم ايضاً هذا البرهان، لكي يكون نوابنا من المخلصين الاكفاء ، الذين يمكنهم ان يعبروا عن افكارنا بكل صدق واخلاص (تصفيق حاد)

احذركم فانهم يريدون ان يلعبوا وأن يعبثوا ، هذا وقت دسهم ، وهذا وقت لعبهم وعبثهم ، وقد ابتدأوا ان يتهمونا بالفتور عن الانتخاب (اصوات كذبوا)

اننا لم نفتر عن الانتخابات . ولم نعرض عنه ، ولكن الذين فتروا عن الانتخابات وأعرضوا عنه هم اشياعهم: لا اذناب منهم فقط بل رأسهم الكبير!!

ولكن نحن الوطنيين من اصغر صغير فينا الى اكبر كبير منا ، نحن الوطنيين لم تفتر عزائمنا بل تقدمنا الى الانتخاب وانتخبنا من كان لنا ثقة منه، وخرجت النتيجة شاهدة ناطقة بأن الامة يقظى وانها تعرف من اخلص ومن لم يخلص (هتاف)

وسوف نقدم البرهان على ان هذا الذي ارادوه ! وهو استمالة الناخبين المندوبين لن يبلغوه وأننا قوم لا نبيع بلادنا بدراهم ، ولا نساوم في الحق، ولا نتهاون في حقوق بلادنا ، ولا نتأثر بأمر مأمور او ايعاز مدير ، وأن كل شخص تداخل معنا في الانتخاب بطريقة غير مشروعة قاومناه بكل قوانا ، وبكل وسيلة شرعية مهما كان مركزه

لا تهابوا ان تهبوا في وجه كل من يريد افساد ذممكم بوعد او وعيد، ومن لم تستطيعوا مقاومته بالوسائل المشروعة ، فانه يجب ان ترفعوا امره الى

السلطة المختصـة ، فان سمعت شكواكم فبهـا ونعمت ، والا فالبرلمان موعدنا وسوف نحاسبهم حساباً عسيرا

واختم كلمتي بالشكر مرة اخرى على هذا الاختيار الصائب ، وثانياً بشكر الشباب الناهض الذين كانوا عماد هذه الحركة ، وتحملوا متاعب كثيرة في سبيل ارشاد الناس الى الانتخاب وتعريفهم بما يجب عليهم

اجل . اشكركم — وقد عاب المهزومون على الناس ان يطوف بعضهم على بعض ويرشدهم الى انتخاب فلان وفلان ، ولـكن هذا الذي يعيبونه سخيف منهم

في كل بلاد الدنيا نرى في ايام الانتخابات اعلانات بأحرف كبيرة ، انتخبوا فلاناً ولا تنتخبوا فلاناً ، ويطوف الناس بعضهم على بعض يرشدون ويحضون على انتخاب المخلصين والصد عن غيرهم . . . ليست اقوال هؤلاء المهزومين الا نفثات مصدور ، هذه الوسائل مشروعة فاستعملوها وليرشد بعضكم بعضاً فان هذا هو التضامن بعينه والله مع المتضامنين واني لكم من الشاكرين

— ١٧ —

خطبة عظيمة لمعالي الرئيس

« في وفود الجيزة وموظفي البريد والعمال والواسطى وقويسنا »

في مساء يوم ٢ اكتوبر

ايها السادة :

اتقبل تحياتكم الطيبة بالترحيب والاكرام ، وأسعد بسرور عظيم بلقياكم ، واني مبتهج كل الابتهاج بنتيجة الانتخابات الثلاثينية التي دلت على ان المصريين ليسـوا فاترين كما قال خصومهم عن الانتخابات ، بل هم يقظون مهتمون بهذه الانتخابات كل اهتمام من اقصى البلاد الى اقصاها

تردنا الاخبار بالبريد وبالتلغراف عن هذا الاهتمام العام، ونستدل منها على ان ٧٠ في المائة على الاقل ممن لهم حق الانتخابات في الاقاليم حضروا وأعطوا اصواتهم وكانت النتيجة باهرة جداً، ولم يستطع خصومنا في الخارج ان يسجلوا هذه الحقيقة وقالوا ان النتيجة الرسمية لم تظهر للآن . . . ذلك ما سطروه وما قالوه لكي يلقوا في اذهان مواطنيهم ان المصريين ليسوا اهلا للحكم النيابي زاعمين ان الذين اهتموا من المصريين بالانتخاب لا يتجاوزون ال ٢٠ في المائة - - فهل هذا صحيح ؟ (اصوات . كذبوا) . اظهرت الانتخابات هذا الاهتمام ، وأن الذين اهتموا بها هم الوطنيون . وأما غيرهم فتقاعدوا عنها وأخلوا بأول واجب وطني اذ على كل إنسان ان يصوت مهما كان مركزه . ولكن غير الوطنيين لم يهتموا ولذلك راح انصارهم في البلاد الاجنبية يقولون ان المصريين فتروا عن الانتخابات ! وهي تهمة باطلة

لقد خبرتم بأنفسكم كيف ان الانتخابات كانت صعبة جداً فيما يتعلق بالكشوفات الثلاثينية وطريقة تحريرها وكيفية التصويت على اساسها . على ان هناك مشكلة كبيرة اخرى اتى بها الذين وضعوا الدستور منا ! اي لجنة الثلاثين ، وهي مشكلة الترشيح، فانهم اوجدوا في مشروعهم ان ترشح كل دائرة شخصاً ، وأن هذا الشخص يلزم ان يعين مركزه في هذه الدائرة في زمن معين ، ولا يجوز بعد هذا التعيين ان ينقله . فنتج عن ذلك ان وجدت دوائر ليس فيها احد كفء ، بينما في غيرها كثير من الأكفاء المخلصين . وستسفر حتماً بسبب هذه العقبة عن انتخاب اكفاء مخلصين الى جانب عجزة او غير مخلصين

ما من وطني مخلص يسلم اليه الامر في وضع قواعد الدستور لامته يجرأ على وضع عقبات كهذه لان اضرارها ظاهرة بينة كما ذكرت لكم وستظهر بجلاء عند بدء الانتخابات لمجلس الشيوخ

ان لمجلس الشيوخ شروطاً خاصة وأعضاؤه يلزم ان ينتخبوا من طبقات معينة وليس في كثير من المناطق مثل هذه الطبقات وليس في بعضها الا واحدا ربما لا تتوفر فيه شروط الكفاءة والاخلاص

يعني ان الانتخاب ليس حراً بل هو جبري بحكم القيود التي خلقوها

من هذا يظهر لكم هذا الخلل القانوني ، ومنه ترون ان اعضاء مجلس الشيوخ ليسوا منتخبين بل هم اما معينون او منتخبون اضطرارا

هذه نتيجة لا يصح لمصري ان يغفل عنها او ينساها لاولئك الذين وضعوا هذه الشروط وخلقوا هذه العقبات . ففي البلاد اكفاء كثيرون ومخلصون كثيرون ، ولكن هذه العقبة التي وضعتها تلك اللجنة: لجنة ال ١٨ اولا ثم لجنة الثلاثين ثانياً قد تحول دون انتخاب هؤلاء المخلصين الاكفاء، وهذه جريمة لا يغفرها الوطن لمرتكبها

اما فيما عرض علينا الآن من ترشيح فلان وفلان فاننا مشتغلون ليلا ونهاراً بهذا الاختيار . وعما قريب ستعلن رأينا فيه . سواء كان في مركز قويسنا او في الجيزة او في غيرها وأننا نتحرى عن المخلصين الاكفاء بكل ما نملك من وسيلة

نسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا في هذه الانتخابات الى ما تكون نتيجته انتخاب المخلصين الاكفاء والذين للامة ثقة بهم

واني لا انسى ان عمال البلد كانوا دائما يذكرونني بكل خير . ويخدموننا بكل اخلاص . وكانت ترد لي عن طريقهم خطابات وطرود وفي طياتها وصف شعورهم . وكنت ابتهج كل الابتهاج باخلاصهم ووطنيتهم ، فأشكرهم كل الشكر على هذه العناية وأرجو من الذين حضروا منهم اليوم ان يبلغوا الغائبين شكري كما ارجو اعضاء الوفود الحاضرين ان يبلغوا اهل بلادهم تحياتي الخالصة

— ١٨

خطبة معاليه

في وفود المنيا وشبرا والاهرام والصف واسطنها منوفية

في مساء يوم ٣ اكتوبر سنة ١٩٢٣

ايها السادة

اخجلني خطباؤكم وشعراؤكم وأعجزتني بلاغتهم عن الوفاء لهم ولكم بشكري ، اسندوا الي من جليل الصفات ما لا ارى نفسي اهلا له ، ولكن حسن ظنهم وجميل لطفهم حملاهم على ان يصفوني بها ، فأثني عليهم اجمل الثناء، واني اذا قلت لكم اني مبتهج لا اكون معبراً عن شعوري تمام التعبير لان شعوري يحتاج الى بيان خاص ، اما البيان العادي فلا يفي بالمرام لان شعوري اكبر من كل عبارة . وأوسع من كل بيان

اني من يوم عودتي وأنا محفوف بشعوركم اللطيف الجميل وشاعر بأن قوة هائلة ترفعني الى اسمى درجات العلا ، ويخيل اليكم اني منبع قوتكم ، ولكن الحقيقة انكم انتم منبع قوتي ، ومن ذا الذي يرى تلك الجموع الحاشدة وهذه الوفود الوافدة التي تتوالى كل يوم وفي كل وقت ومن كل جهة لتهنئتي بمقدمي، وتعبر عن شعورها بهذه الحرارة التي اشعر بها ويشعر بها كل من حولي — من ذا الذي يرى هذا الشعور المتدفق من تلك القلوب ، ولا يرى ان الشعور الذي اشعر به فوق كل وصف وفوق كل بيان

حقيقة اني اشعر بشيء لا يمكن التعبير عنه، وهذا الذي تظهرونه وتظهره وفودكم ويعبر عنه خطباؤكم وبلغاء شعرائكم هو الذي يكيد خصومنا ويغريهم بنا ويحملهم كل يوم على سبنا وشتمنا واستخدام معاولهم لهدمنا ، لانهم يرون

ان وجود هذا الشعور فيكم عقبة في طريقهم . . . سامحهم الله. . . على اني اشعر بأن هذه المعاول لا تهدم الا اشخاصهم وان هذه الشتائم لا ترتفع الينا بل ترتد اليهم ، اما انا فما دمت محاطاً بعناية الله ومحفوفاً برعايتكم فلا يلحقني منها ادنى هوان (تصفيق)

زعموا عند ما رأوا نتيجة الانتخابات ضدهم ان هذه الانتخابات كانت بالاكراه (اصوات كذبوا) . . . الامة كلها من اقصى البلاد الى اقصاها تصوت وتعطي رأيها وقوم منا يقولون ان الامة صوتت بالاكراه ! ! ! .... من ذا الذي اكره الامة ؟ نعم ان التصويت كان بالاكراه ولكنه اكراه الشعور لا اكراه الجبابرة (تصفيق) اكراه الشعور الوطني الذي يحمل كل واحد من المنتخبين على ان يتحالف مع الآخرين ويتعاهدوا على ان لا ينتخبوا الا شخصاً يكون موضوع ثقتهم — هذا التحالف هو الاكراه عندهم ، وهو الذي وصفوه بأنه معيب ومناف للآداب ، ومكارم الاخلاق ؛ ولكن هذا التحالف الذي تم بين الناخبين المندوبين والذي دفعهم اليه ذلك الشعور الذي لا يحس به الا الوطنيون وحدهم — امر ممدوح لانه مظهر من مظاهر التضامن وهم انما يعملون على افساد هذا التضامن بينكم ، ان هذه مأموريتهم فيكم لانه اذا انقطع التضامن بينكم تفرقت قوتكم وضعف نفوذكم وسهل على المستعمرين اغتصابكم ، ولذلك يسعى المستعمرون في كل البلاد التي يريدون استعمارها الى فصم عرى الاتحاد ، واستخدام كل ادوات التفريق ، لهذا ترون هذه الادوات عاملة بينكم على تفريق الكلمة واضعاف النهضة ، ولكن الله سبحانه وتعالى هو صاحب هذه الحركة وباعث هذه الروح في انفسكم جميعاً سيحميكم من كيدهم ، ولن يفلح قصدهم وقد حكم عليهم بالخيبة الى يوم الدين

اهتموا بهذا الدور الثاني من الانتخاب : هذا الدور النهائي الذي نحن قادمون عليه لان واضع الدستور اي اعضاء لجنة ال١٨ او اعضاء لجنة الثلاثين

— ٢١ —

خطبة معاليه في وفدي ببا واسنا في نفس الليلة

اشكر كل الشكر وفد ببا ووفد اسنا على تفضلهم بزيارتي وتهنئتي بعودتي، اشكرهم شكراً فائقاً جزيلاً، وان دعوتهم لي لقد سرتني وأبهجتني، ولكن يؤلم فؤادي ان صحتي لا تسمح لي باجابة كل دعوة ، اني اود ان ازور كل مدينة ، كل عاصمة ، كل قرية ، بل كل مصري في بيته ، كنت اود ان يهبني الله قوة اتمكن بها من زيارة المدن والقرى والافراد ، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل القدرة محدودة، واني اشعر بشيء من الضعف لا يمكنني معه ان ادرك كل امنيتي ، فأرجو من اخواني الذين يتشوقون لان اجيب دعوتهم ان يرأفوا بصحتي لأني حقيقة جدير بهذه الرأفة ، واني اذا كنت اضطر لعدم اجابة رغبتهم فأرجو ان يفهموا ان عدم الاجابة غير ناشىء عن عدم الرغبة بل هو ناشىء عن ضعف الصحة (اصوات الله يقويك)

اما فيما يختص بمسألة الترشيح فتخفيفاً لعبء العمل عني قد رأى اخواني ان يعفوني من الاشتغال بها وقد اخذوا على انفسهم ان يشتغلوا بها ويدققوا النظر فيها ، وبعد ذلك ابحث معهم النتائج التي وصلوا اليها ، فعلى كل من يريد الكلام في شأن الترشيح ان يتكلم من حضرات اخواني ، واني بعد ان يمهدوا الطريق ويمحصوا المسائل اشترك معهم في نتيجتها وفقهم الله لان تنتج ابحاثهم نتيجة ترضي الذمة والبلاد



معالي الرئيس في منفاه بجبل طارق

— ٢٢ —

خطبته في عيد النهضه الوطنيه

ذكرى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨

ايها السادة :

في مثل هذا اليوم من عام ١٩٢١ كنت مريضاً ولكني نهضت من فراسي لاشهد احتفالكم وأتشرف بالخطابة فيكم . لانه يوم عيد للبلاد ، يجب ان يتجدد في كل عام ، اذ هو اليوم الذي استيقظت فيه مصر وصرخت صرخة الاستقلال فارتفعت تشق اجواز الفضاء، فهو مبدأ نهضتنا وسيرنا الى الامام نحو المطمح الاسمى الذي هو الاستقلال التام

وتذكرون اننا قطعنا العهد على انفسنا ان نجتمع فيه كل عام ونعرض الحوادث التي وقعت في بحر العام الذي انقضى ، لنستفيد من عظاتها ونعتبر بعبرها ونهتدي بما ترشد اليه من الطرق الصالحة، ذلك كان عهدنا عام ١٩٢١، ولذلك اقدم لكم عذري لأني لم استطع القيام بتنفيذه في العام الماضي بالوجود معكم ، على اني اشهد الله العليم اني في مثل هذا اليوم من العام الفائت وأنا فوق صخرة طارق في وحشة نفي، ومرض جسم وعزلة سجن، كنت اذكركم وأشترك بروحي ووجداني معكم ، وكان قلبي يخفق مع قلوبكم ، ويهتف لهتافكم ، وكنتم موضع فكري وذكري ، وموضوع تضرعي ودعائي ، وكنت اسري الهم عن نفسي بتصوري ان البذور الطيبة لا بد ان تثمر في التربة الجيدة اطيب الثمرات (تصفيق حاد وهتاف)

لم يخصني الله بهذه الحالة وحدي ، بل ارسلها في الفيافي والبحار، فكانت لاخواني في سيشل كالارجوحة لاشجانهم، فلطفتها وسرتهم . وبالرغم من

الحراس والعيون بل من القلاع والحصون ، طارت تلك الفكرة فاخترقت جدران السجون . ونفذت الى القلوب . فأضاءت بالفرح نفوس اخوانكم في قره ميدان وقصر النيل حيث عانى اولئك المخلصون الم الوطنية اللذيذ ، واحتملوا عذابها العذب ، وشماءها المشرف

احمدك اللهم ربي ، ما اجزل عطاءك وأوفر آلائك . اني لانحني خشوعاً امام قدرتك الباهرة ، وحكمتك البالغة ، فقد وحدت جهود الامة ووجهتها الى اشرف الغايات . وكان من هذه الوحدة ومن آثارها الكريمة ، ان تهيأ لشخصي الضعيف ان يتمتع بلقائكم مرة ثانية ، وأن يدب فوق ارض هذا الوطن العزيز ، وأن يجلو ناظريه بسمائه الصافية، ويمتع صدره بهوائه الجميل، وأن يتحدث الى الاخوان والابناء والامهات والاخوات ، وأن يشعر مرة اخرى بأن الوطنية ، التي ضحيتم من اجلها ما ضحيتم . لا تزال تنمو وتعلو وتنتصر ، وأن يقيننا يشتد كل يوم وآمالنا كل يوم تزدهر (تصفيق حاد)

ايها السادة

حدثت منذ عام ١٩٢١ حوادث كثيرة وهامة اقلها لا يتسع المقام لتفصيله. فقد قامت المفاوضة الرسمية في هذه المدة وانقطعت وعاد الوفد الرسمي الذي كان يباشرها بالخيبة التي قدرت له من يوم تأليفه وسفره . وصدر تصريح كرزن ، واستاء الناس له ، وأجمعوا على مقاطعة الانجليز والامتناع عن معاونتهم في حكم البلاد

ونفي زعماء البلاد نفياً اسخط الناس جميعاً . وصدر تصريح ٢٨ فبراير . وتألفت وزارة ثروت . وأبت ان تضع الدستور جمعية وطنية وعهدت بوضعه الى لجنة اختارتها من انصارها ، فوضعت احكام الدستور على كثير من القواعد الرجعية . ثم بعد ان ارهقت البلاد وخنقت حريتها، وأصدرت بعض القوانين الاستثنائية وأعدت للصدور قوانين اخرى وكادت ان تودي بالبلاد وحقوقها ، وحريتها استعفت غير مأسوف عليها ، مزودة بالسخط العام

وخلفتها وزارة نسيم التي لم تدم ازيد من شهرين ثم استعفت بسبب مسألة السودان . فأجمع المستوزرون تقريباً على اجتناب الوزارة . واستمر ذلك مدة استبشر بالخير فيها محبو مصر لان عدم معاونة المصريين للانكليز تضطرهم الى التخلي عن مصر كما اشار الى ذلك الكتاب الابيض . وودوا لو استمر هذا الاجماع . ولكن يحيي باشا ابراهيم وأربعة من زملائه الذين اشتركوا في هذا الاستعفاء خرقوا ذلك الاجماع ، وقبلوا ان يكونوا في هذه الوزارة . فتشكلت على ما هي عليه الآن تقريباً وأصدرت قوانين كثيرة تحرمنا الحرية وتنقص من حقوق البلاد. والاحتجاج على جميع الاجراءات والقوانين التي رآها مجحفة بحقوق البلاد وحريتها

هذه نظرة عامة في مجموع الحوادث التي وقعت ببلادنا منذ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢١ فلنتكلم على كل واحدة منها اجمالا

المفاوضات الرسمية

لما تشكلت وزارة عدلي باشا رأت ان تدعو الوفد للاشتراك في المفاوضات ولكن هذه الدعوة كانت ظاهرية لانها كانت تعمل في الخفاء على ضدها وقد بينا ذلك في خطبة ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢١ فليرجع اليها من يريد البيان

وقد اشترط الوفد لهذا الاشتراك الشروط الآتية : وأن يصدر مرسوم سلطاني بمهمة المفاوضين

١ — الغاء الحماية الغاء تاماً صريحاً اي الغاء الحماية التي وضعت على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والتي وردت في معاهدة فرساي ومعاهدات الصلح الاخرى التالية لها

٢ — الاعتراف باستقلال مصر استقلالا دولياً عاماً . سواء كان في الداخل او الخارج مع مراعاة ارادة الامة التي ابدتها بالتحفظات المدخلة على مشروع اللورد ملنر عند ما عرض عليهما قبل الدخول في المفاوضات

٣—الغاء الاحكام العرفية والمراقبة الصحافية قبل الدخول في المفاوضات

٤—ان تكون غالبية المفوضين الرسميين للوفد وأن تكون رئاسة الهيئة المفاوضة للوفد

فلم يقبل من هذه الشروط الا الغاء المراقبة الصحافية لان هذا الالغاء لم يكن يترتب عليه ضرر لهم ما داموا استبدلوه بقانون المطبوعات وتطبيقه على الصحف . وما دامت الاحكام العرفية مبسوطة على البلاد وما دام انهم سارعوا الى شراء كثير من الصحف وصمموا ان لا يسمح لغيرهم بانشاء جرائد اخرى. والدليل على عدم قبول بقية الشروط حديث عدلي باشا الذي نشرته جريدة « الاهرام » بتاريخ ٢٥ ابريل سنة ١٩٢١ اذ جاء فيه عن الشرط الاول والثاني

« ان هذا دخل في برنامج الوزارة. اما التحفظات التي قدمها الوفد للجنة ملنر فاننا لم نغفلها في برنامجنا بل اعربنا عن عزمنا الاكيد على تحقيقها وذلك بقولنا في برنامجنا (اننا سنعمل في اداء مهمتنا مسترشدين بما رسمته ارادة الامة » . وأما ما يطلبه سعد باشا من ان يكون تعيين المفوضين الرسميين بمرسوم سلطاني فان هذا يتنافر تنافراً كلياً مع التقاليد الدستورية)

وأجاب عدلي باشا عن النقطة الثالثة وهي الخاصة بالغاء الاحكام العرفية والرقابة بقوله (ان الوزارة قد صرحت في برنامجها بأن ذلك من احسن امانيها . ولا شيء ادعى الى تحقيق هذه الغاية من المحافظة على الهدوء والسكينة واحترام حرية الآراء)

وأجاب عن النقطة الرابعة بقوله (ان المسألة ليست مسألة تحقيق اغلبية لجانب على آخر فاننا لا نمضي للمفاوضة احزاباً وشيعاً . وأما عن مسألة الرئاسة فقد ابنت لسعد باشا ان التقاليد السياسية في جميع البلاد لا تسمح بحال ان يدخل رئيس حكومة في مفاوضة سياسية ولا يكون رئيس الهيئة الرسمية التي تتولاها)

هذه هي اجوبة عدلي باشا وليس فيها كما يزعمون انه قبل كل شروط الوفد ما عدا شرط الرئاسة . اذ الواقع انه لم يقبل شيئاً

ان الاحكام العرفية لم تلغ . بل بالعكس علمنا ان عدلي باشا عارض في الغائها كما صرحنا بذلك في خطبة ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢١ وفي غيرها وتحدينا في بعض خطبنا الوزارة ان تكذب هذا الخبر ان كان غير صحيح . فلم تقدم على تكذيبه . ثم صرح منذ بضعة شهور فقط احد اللوردات في مجلس البرلمان الانجليزي بأنه ما من وزارة مصرية تألفت من يوم الحماية لغاية الآن قبلت مسؤولية الحكم بدون الاحكام العرفية.ولم يجرأ عدلي باشا ان يكذب هذا التصريح الذي كان منصباً على وزارته (كما هو منصب على وزارة غيره) ولكنه غالط بعد سقوط وزارة نسيم فقال انه لم يقبل مسند الوزارة وقد عرضت عليه الا تحت شرط الوعد بالغاء الاحكام العرفية ! غير انهم ، بعد حيلتهم، اشاعوا في طول البلاد وعرضها،انهم قبلوا كل الشروط ما عدا شرط الرياسة محافظة على التقليد وكأنهم رأوا المحافظة على التقاليد افضل من المحافظة على مصلحة الامة واتفاق كلمتها

على ان تلك التقاليد بالنسبة لمصر لم تكن الا من مخترعات اوهامهم ولم يكن لها وجود في تاريخ البلاد

ان الحكمة والوطنية والكرامة كانت توجب على عدلي وزملائه ان لا يباشروا المفاوضة في الوقت الذي ارتفعت اصوات الامة بعدم الثقة فيهم وبأنها لا يمكن ان تعتمد عليهم في المطالبة بحقوقها . ولكنهم لم يحفلوا بهذه الاصوات واعتمدوا على قوة الحماية وسلطتها في انتزاع الثقة بهم من امتهم . وسلطوا الادارة في البلاد ان تنزع هذه الثقة بالاكراه مرة وبالحيلة تارة اخرى ولم يسلم من قهرهم واجبارهم حتى الخفراء في مخافرهم، وحتى الصبيان في مكاتبهم، وحتى صغار المزارعين في مزارعهم،وحتى الاموات في مراقدهم. وما اكتفوا بأن يختلسوا بهذه الطرق الثقة لهم ، بل تطاولوا الى حد ان

اكرهوا الكثيرين الذين وكلونا على نزع ثقتهم منا بحجة اننا اسأنا الوكالة عنهم وأتينا بما شوه سمعة البلاد وأوجب تداخل الاجنبي في امورنا الداخلية، كأننا كنا مستقلين بها استقلالا وكأننا كنا نحن العاملين فيها من غير مشاركة الاجنبي ومن غير مراقبته!! فعلوا كل ذلك ولكنهم كانوا متأكدين من ضعف مركزهم في الامة ومن انها غير معولة عليهم فاستنجدوا بقوة الحماية على امتهم وسافروا تحت حماية هذه القوة. وكل الذين كانوا في الاسكندرية يوم سفرها يعرفون هذه الحقائق ويشهدون بها ويأسفون كل الاسف على حصولها.

وكنا متأكدين من ان هذا الوفد الذي سافر مزوداً بسخط الامة ومحمياً بقوة الخصوم يستحيل ان يكون قصده الاتيان بالاستقلال التام. وانما قصده ان يعقد مع الانجليز اتفاقاً اياً كان ثم يعود فيقدمه للامة ويستعمل الوسائل التي استعملتها الوزارة في تحصيل الثقة له من الامة. وفي نزعها من غيره. يستعمل هذه الوسائل لحمل الناس على قبول هذا الاتفاق مهما كان معناه ومرماه

ويدل على هذا القصد اولا: المذكرة التي قدمها عدلي باشا في ٥ مارس سنة ١٩٢١ الى دار الحماية وفيها يتكلم عن شروط المفاوضة وتقسيم الوزارة الى قسمين: قسم يسافر الى لندن لمباشرتها، وقسم يبقى في مصر لتوجيه الرأي العام الى الوجهة التي يتجه اليها القسم الاول

ثانياً: الخطة التي جرى عليها هذا القسم في توجيه الرأي العام فقد كانت خطة تضليل وعنف، وقسوة وارهاق، كما تعلمون وتعلم الامة جمعاء. وما مثل عمل هذا القسم في الجري على هذه الخطة الا كمثل قواد تأهبوا للحرب ولكن بهدم معاقلهم وحصونهم، وتجريد الجنود من السلاح. وتحطيم السيارات وتمزيق الطيارات. وتخريب السكك الحديدية والقناطر والجسور وعزل كل ضابط في رأسه حكمة او في صدره حمية. واستبداله بضعيف الرأي خائر العزيمة، فاذا وجد انسان يستطيع ان يصدق ان هؤلاء القواد يريدون الحرب حقاً فانه يصدق ان وزارة عدلي كانت تريد المفاوضة الصحيحة للوصول

الى الاستقلال التام (تصفيق حاد) بعد ان يرى وزير داخليته يقتل الحرية في الصدور ويطفىء جذوة الحمية في القلوب ، ويملا المعاقل والسجون من الاحرار ويجعل جزاء الهتاف للاستقلال ، الاعدام بالحديد والنار ! !

ولذلك كله قدرنا للوفد الرسمي الخيبة من يوم سفره

ثالثاً: مكث هذا الوفد في لندن زهاء اربعة اشهر بلا علة ولا سبب سوى انه كان ينتظر نتيجة القسم الاول ولكن الله قدر ان تكون نتيجتها معاكسة لقصدهم . ومناقضة لما توقعوه . اذ اتفقت كلمة الامة تقريباً على رفض كل اتفاق لا يحقق استقلالها التام ، وجاء احرار الانجليز فوجدوا هذا الاجماع وتأكدوه . وعرضوه على حكومتهم فلم تر بداً من قطع المفاوضة مع وفد لا يستطيع ان ينفذ ما يمكن الاتفاق معه عليه . قطعت المفاوضة والحكومة الانجليزية حانقة على الزعماء الذين جمعوا كلمة الامة ضد ما كانت تأمل الوصول اليه بالمفاوضات ولم تتمالك الا ان تظهر هذا الحنق في مذكرة كرزون التي تقدمت لعظمة السلطان عقب انقطاع المفاوضات . ولكنها لم تبد اي حنق ولا تأثر من الوفد الرسمي . بل بالعكس رأيناها تبدي الرضاء بالكتاب الابيض عن رئيسه وتتمدح بمساعدته ومعونته القيمة. وتسعى بعد ذلك لان تكافئه بزيادة ثلثمائة جنيه على معاشه السنوي في الوقت الذي لم يكن فيه وزير ولا وزارة . كانت هذه المكافأة من بعض آثار هذا الرضاء. اما الحنق فكان من آثاره نفي اولئك الزعماء واعمال القسوة والشدة اتت بها وزارة ثروت

وزارة ثروت

بعد ان انقطعت المفاوضات على الوجه الذي بيناه اضطر عدلي باشا للاستعفاء لانه كان تورط في بذل الوعود به ان لم يحصل على الاستقلال

نشر مشروع كرزون وكتاب التبليغ الى عظمة السلطان فأحدث نشرها في الرأي العام سخطاً شديداً وحنقاً عظيماً، وأجمع الناس على مقاطعة الانجليز

والامتناع عن معاونتهم في حكم البلاد الا المنشقين وأصحابهم من دعاة التردد والهزيمة ، فانهم وان تظاهروا مع الناس بالسخط والنفور ، فقد سعوا في الخفاء بواسطة ثروت للاتفاق مع الانجليز على الوزارة والتربع في مساندها ، وأخذت الاشاعات تدور حولهم وحول وسيطهم ثروت ، فتارة يقال ان الوزارة عرضت على هذا الاخير فأباها ، وتارة يشاع انها لم تعرض عليه ، وآونة يتحدثون بأنه اشترط لها شروطاً وأخرى يزعمون ان شروطه قبلت او رفضت ، او قبل بعضها ورفض البعض الآخر ، وكان ثروت كلما يسئل في هذا الموضوع أبهم في الجواب وذهب به الابهام الى حد ان قال لبعض وفود الطلبة ما يفيد عدم التعويل على قوله ، وأكدت الجرائد الموالية له اخيراً انه اشترط احد عشر شرطاً انها قبلت كلها

والحقيقة التي يستمليها الانسان من قراءة الكتاب الابيض الانجليزي هي ان ثروت لم يشترط شروطاً يجب تحقيقها قبل تولي الوزارة بل اشترط ان ينشر برنامجاً يتضمن بعض الوعود وهي الوعد بانهاء الحماية والاعتراف بمصر كدولة مستقلة كما ورد في مذكرة ١٠ نوفمبر التي سلمت للوفد الرسمي ، وأن تضع الوزارة مشروعاً للاصلاح الدستوري وأن تعيد وزارة الخارجية ، ويتبين من الكتاب المذكور ايضاً بكل جلاء ان الدولة الانجليزية اعتبرت نفسها محل الدولة التركية وأنها في اصدار تصريح ٢٨ فبراير جرت على طريقة المنح التي كانت تجري تركيا عليها فيما نالته مصر من مزايا الاستقلال كما انه يتبين ان القصد من هذا التصريح هو الغاء لفظ الحماية مع الاحتفاظ بحقيقتها ، فقد ورد في تلغراف لورد اللنبي الى وزارة الخارجية بتاريخ ٢٦ دسمبر سنة ٩٠١ ما نصه : (ان الحجة الرئيسية التي يدلى بها للاصدار على لفظة الحماية هي قيمتها ونفعها فيما يتعلق بالمفاوضات مع الدول الاجنبية بغض النظر عن هذه الحجة فان اللفظ مدلوله ضئيل يضاف الى ذلك انه يدل على حالة يذهب المصريون في بغضها الى اقصى حد)

ومع ذلك يتبجح الثروتيون بأنهم بذلك التصريح نالوا اشياء نفيسة بغير مقابل مع انهم اعتبروا الدولة الانجليزية مالكة لكل شيء في مصر وأن لها ان تعطي ما تشاء وتمنع ما تشاء. فأي شيء لم نعطه بعد ان جعلنا بلادنا مملكة للانكليز تتصرف فيها بالمنح والمنع كما تريد ، وان ليس لنا الا ما تتكرم به علينا من محض كرمها وجودها. هذا الى ما في الاحتفاظ بالنفط الاربع من معنى الحماية بل الضم كما شرحناه في بعض خطبنا السابقة

اخذ ثروت يتخابر سراً على هذا النحو مع انه لم يكن رئيس حزب ولا رئيس هيئة وشأنه كغيره من بقية الافراد او من بقية الموظفين او الوزراء الساقطين ! ! . فبأي صفة تخابر ؟ وعلى من اعتمد في تنفيـذ ما اتفق عليـه مع الانكليز ؟

اننا نرى في البلاد الاوربية عند حصول الازمات الوزارية يتشاور المستوزرون مع رجال احزابهم وأحزاب غيرهم وبعد ان يقفوا على ارادتهم ويتفقوا على ممثلي الاغلبية فيهم يقدمون على تولي الاحكام ولكن ثروت تخابر في السر ولم يستشر الا فريقه الضئيل . اما بقية الامة فقد اهملها كل الاهمال معتمداً بالطبع على ان يسوقها بالقوة ، ويحملها بالضغط على احترام ما يأتي به. ولهذا لم يلبث بعد ان تربع في مسند الوزارة حتى جاهر بما ينويه لمعارضيه من التنكيل والتبديد ووصف المعارضة له في الخطبة التي القاها في عيد الجلوس اواخر مارس سنة ١٩٢٢ بالحمق والاجرام وطلب المعونة من سامعيه على هذا التبديد والتنكيل ، وسنده في ذلك من لقبه هو في خطبته بشيخ المحامين ، اذ طلب منه ان يستعمل الهراوة بقمع هذه المعارضة ومحوها ، ثم ما لبث ان ملأ السجون والمعاقل بالاحرار، وسلط التهم الباطلة على الابرياء ، وأخذ يهاجم الآمنين في مأمنهم ، يفتش دورهم ويهتك اسرارهم ويضبط ما يجده عندهم من صور خصومه ورسومهم ويحرم ذكر اسمائهم في الجرائد ورسم صورهم على البضائع ، ولم يقتصر المنع على اسمائهم

بل تعداه الى اسماء من ينتسبون اليهم ، والى الاماكن التي يقيمون فيها ، وكذلك جيش جيشاً من الخفراء والبوليس ليفتشوا الناس في غدوهم ورواحهم ويقبضوا على كل من شاءوا بمجرد الاشتباه فيهم ، ونشر داء المحسوبية في المصالح فقرب العاطلين وابعد العاملين ورفع الخاملين وخفض ذوي الكفاءة وعطل كثيرا من مصالح الذين يتوهم فيهم المعارضة لخطته او لمنافع انصاره ، وطارد الحرية في كل مظاهرها ، فمنع الاجتماعات ، وعطل الجرائد الحرة ، وحرم على الاحرار اصدارها ، وأباحها لذوي السفاهة والوقاحة والذمم الفاسدة والضمائر الجامدة ، واتخذ منهم اخلاء وأصحاباً ، وسلطهم على اعراض الناس يقرضونها وعلى شرفهم يثلمونه وعلى الحقائق يقلبونها وعلى الوقائع يعكسونها ، حتى عميت الطرق وارتفع الامن من النفوس وأصبح المرء في آونة لا يدري ما سيلاقيه في الآونة الثانية

اختلال وفساد لم تر مصر نظيره في الازمان الخالية . ولقد بلغ من طغيانه ان حكم بالاعدام على سبعة من ابطال الامة لانهم اصدروا منشوراً ذكروا فيه سوء حال المنفيين . والقوا على وزارته مسئولية الآلام التي المت بهم . ولما بدلت السلطة الحكم عليهم بالحبس سعى في القائهم بأقسى السجون وأظلمها ومعاملتهم كالمجرمين العاديين ! ! . . انتقام ما الأمة واسفله ! ! ! . . ثم اعمل يد الاسراف في الخزينة حتى كاد يخربها بما رفع من مرتبات الموظفين الانكليز وما اعطى لهم من المكافآت التي لم يكونوا يحلمون بها . وبما تسامح فيه للشركات من عقود وغيرها في مقابل منافع شخصية . واتفق مع الانكليز على مبادىء قانون التعويضات التي رتبت للانكليز حقوقاً على الاراضي المصرية وعلى طائفة من المصريين الذين اوقعهم سوء الحظ في قبضة السلطة العسكرية . ووضع كذلك قوانين استثنائية لم يكن ما يبررها لا من حوادث وقعت ولا من وقائع حدثت . ثم انتهك حرمة الامة واحتقر ارادتها وانكر حقها في ان تنتخب هي جمعية وطنية لوضع دستورها وزعم ان هذا لا يكون.

الا في حالة الثورة وهو زعم باطل لان الامة هي مصدر السلطة (تصفيق حاد) واليها ترجع السيادة العامة فهي التي تضع بنفسها لنفسها القواعد التي تجري عليها في حكمها

اما اذا كان الواضع لها غيرها فانه يكون هو مصدر السلطة دونها وصاحب السيادة عليها . ولا نسلم ما يضعه من تحكم فيها واضرار بصالحها كما نراه في الدستور وقانون الانتخاب مما بينا بعضه في بعض خطبنا السابقة .

والذي يطالع الكتاب الابيض يفهم السر في اصرار ثروت على ان لا يكون الدستور وليد ارادة البلاد لانه تعهد بذلك في البرنامج الذي طلب من المندوب السامي الموافقة عليه قبل تأليف وزارته . اذ جاء في الفقرة الثالثة ما نصه : (وتنوي الوزارة بفضل تأييد عظمتكم ان تضع مشروعاً للاصلاح الدستوري) ولانه يرى ان الدستور منحة للبلاد لا حق من حقوقها كما ورد في هذه الفقرة عينها اذ جاء فيه ما نصه : (والوزارة مقتنعة بانه لا يكون ثمت عقبة في المستقبل القريب في سبيل اعادة النظام العادي في مصر الذي يسمح بمنح دستور للبلاد . . . . الخ

ولقد طالما زعم ثروت في بياناته وخطبه ان الدستور سيكون على أحدث نظام دستوري يتقرر فيه المسئولية الوزارية التي هي اكبر ضمانة لحق الامة في مراقبة سير الحكومة . ولكن تبين من القواعد التي وضعتها لجنة الثمانية عشر الذين هم من اخص انصاره ان هذا الزعم لم يكن الا تضليلا وتغريرا . لان هؤلاء النوابغ الذين يعرفون من خفايا نياته ، ومستور ضميره مالا يعرفه غيرهم ، اجهدوا انفسهم في ان يضعوا لهذه المسئولية قواعد تقلب موضوعها وتعكس مطبوعها . وتجعل مسئولية البرلمان امام الوزارة لا مسئولية الوزارة امام البرلمان .

فعلموا ذلك في الوقت الذي كان يظن فيه ثروت ان بقاءه في الوزارة مضمون وان الانكليز يستمرون على سنده حتى ضد مليك البلاد . وكثيراً

ما غره هذا الظن واخرجه هذا الغرور عن طوره . ولكن الله خلاف الظنون ومغير الاحوال . فتزعزعت ثقة المليك به واصبح ينتظر السقوط من يوم الى آخر . وحينئذ تراجع انصاره وعدلوا عن بعض القيود التي ارادوا ان يقيدوا سلطة البرلمان بها ، ونجى الله هذه الامة من بعض شرهم . ثم سقطت هذه الوزارة فزال بسقوطها عن الامة كابوس طال ضغطه عليها حتى كاد يخمد انفاسها لولا ما في روحها من قوة ، وما في قلوبها من عقيدة راسخة . ولولا ما بين افرادها وهيئاتها من اتحاد متين . بل ان تلك الاعمال القاسية . وتلك المظالم الفادحة ، لم تزد هذه العقيدة الا قوة ، وذلك الاتحاد الا متانة . لان الله قد يخلق الخير من الشر والنفع من الضر ، وهو دائماً يرد كيد الخائنين (تصفيق حاد)

سقطت وزارة ثروت باشا وفرحت البلاد بسقوطها فرحاً كثيراً وخلفتها وزارة نسيم باشا

وزارة نسيم باشا

قامت هذه الوزارة في وسط الافراح بسقوط الوزارة الثروتية فلم تزدد هذه الافراح بقيامها ان لم نقل انها نقصت من بعض الوجوه لسوء ظن سبق عند الناس من الوزارة النسيمية الاولى . فحسبوا انهم سيلاقون من هذه مثل ما لاقوه من تلك فلم يندفعوا في افراحهم ولم تبسم الامال لهم ان لم تكن عبست في وجوه الكثير منهم . وقد كنت انا من بين اولئك العابسين . لان نسيم باشا وان ربطتنا به رابطة نسب لم نكن على اتصال به وقت قيام هذه الرابطة ، ولم نكن نراه الا في القليل النادر ، اما بعد انقطاعها فقل ما رأيناه . تعين وزيراً للاوقاف ثم للداخلية فما ارسلنا له خطاباً بسلام او اشارة بتهنئته ثم تعين رئيساً للوزارة فداومنا الاعراض عنه واستنكرنا ادارة وظيفته . ثم مات والده فلم نخصه بتعزية بل قصرنا

التعزية على شقيقته . ثم عدنا الى مصر سنة ١٩٢١ فلم يقع بيننا تزاور . ونددت بوزارته الاولى فيما تحدثت به في الجرائد بلندره وفي بعض ما خطبت به الناس في مصر . تعين بعد ذلك رئيساً للديوان الملكي فما عرفناه . ثم تعين رئيساً للوزارة الاخيرة فلم نهنئه . واستمررنا على ذلك حتى استعفى من منصبه وعلمنا بما عمله فيه فاكبر شأنه وارسلنا تهنئته على هذا الاستعفاء

اذن لايصح لاحد من اهل الانصاف ان يتهمني بغرض او هوى فيما هنأت به نسيم بعد استعفائه النبيل ولا فيما اقوله عنه الان وقد صار واحدا من الافراد لا يملك لاحد ضرا ولا نفعا ، وربما كانت حاجته الى الغير أمس من حاجة الغير اليه

اشارك الناس جميعاً في مؤاخذته على أنه لم يعلن برنامجاً لوزارته لان الامم يجب ان تعرف الخطط التي يسير عليها ولاة امورها في حكمها فان لم يفعلوا كان ذلك قصوراً منهم في السياسة او تقصيراً في حق الامة ، ولا أرى من الوجاهة الاعتذار عنه بسرعة توليه الوزارة وضيق الوقت عن وضع البرنامج بما ينبغي من الروية والتامل ، لان كل رجل سياسي ينتظر ان يتولى الحكم يوماً من الايام يلزم أن يكون رأيه في ادارة شؤون بلاده حاضراً على الدوام خصوصاً في الاحوال الحاضرة والمشكلات منها ، واحوال مصر ومشاكلها كانت معينة معلومة وكان نسيم باشا في وظيفة سامية تسمح له بالاطلاع على الامور ودخائلها وتكوين رأي فيها ، فعدم وضعه برنامجاً لوزارته موضوع المؤاخذة ، وهو مؤاخذ ايضاً على التزامه جانب الصمت حتى في الدفاع عن نفسه بالنسبة الى ما كان يوجه الى وزارته من التهم ، نعم انه اساء بذلك الى نفسه اذ لو تكلم لأبطل كثيراً من مطاعن خصومه ، واساء الى الافهام بتركها تتشبع بغير الحقائق اذ على ولاة الامور أن يحرصوا دائماً على تنوير الافهام وتغذيتها بالوقائع الصحيحة ، اما مؤاخذته في التضحية التي أبداها بخصوص السودان فسيأتي الكلام عليها

ان نسيم باشا تولى ادارة البلاد وقد انتشر الخلل فيها وساء الظلم بفضل الوزارة الساقطة فاجتهد في رفع المظالم اذ اخلى السجون من الابرياء، ودفع التهم الباطلة عن الكثير منهم، وطهر الادارة من بعض الذين لعبوا بالمصلحة العامة وبأرواح العباد وشرفهم وحريتهم ، كما اخذ في تطهيرها من داء المحسوبية وأبعد المحسوبين، وأبطل الترقيات المختلسة التي اقرتها وزارة ثروت عند ما شعرت بقرب سقوطها ، وعارض في الطريقة التي جرت عليها وزارة ثروت في التصديق على الموظفين الانجليز معارضة شريفة

طلب من نسيم وضع قاعدة نهائية لتعويض الموظفين الانجليز فرفض قائلا أنه لا يمكنه ان يقبل هذه القاعدة لانها تضر بالخزانة ضررا بليغاً وتكلفها اعباء ثقيلة في السنوات القادمة وأنه لا يمكن ان يحمل الخزينة هذه الاحمال خصوصاً والبلاد على وشك ان ينعقد برلمانها فيجب ان يكون له وحده الفصل في شؤنها

وخطأ سياسة العنف والشدة ومجاراة الاقلية ، واهمال الاكثرية واحتقار ارادة الامة ، ونصح بسياسة اللين والمجاملة والاتفاق مع ممثلي الامة سواء الاقلية منها او الاكثرية ، وبالغاء الاحكام العرفية واحترام ارادة الامة ، وكتب بذلك مذكرة سلمها لفخامة المندوب السامي وهي غاية في قوة الحجة ، وصدق البيان ، وبعد النظر ، وقوة النفس ، ولكن خصومه ، ليضيفوا من فضله ويقللوا من قيمة عمله ، زعموا انه سحب هذه المذكرة بناء على طلب الوكالة الانجليزية ، ولكني تأكدت من مصادر متعددة كلها جدير بالثقة ان هذا الزعم باطل ، وان الامر بالعكس اذ رفض نسيم باشا سحب هذه المذكرة قائلا : (اني لا يمكنني ان اسحبها لانها تتضمن رأياً لي في سياسة البلاد وهذا الرأي اما ان يقبل او لا يقبل ولكن السحب ليس في الامكان)

عالج نسيم باشا مسألة لوزان معالجة وزير وطني حريص على حقوق بلاده، وشاركه في هذه المعالجة زملاؤه وبالاخص صاحب المعالي محمود فخري باشا ، وكيفية ذلك ان ثروت كان قد وضع برنامجاً لتمثيل مصر في مؤتمر لوزان . وقبلت وزارة الخارجية الانجليزية هذا البرنامج واستعد ثروت بناء على ذلك للسفر حتى اخذ تذاكره ومن ضمن هذا البرنامج ان تتنازل تركيا عن حقوقها في مصر بدون تعيين المتنازل له عنها ، فلم يرق هذا البرنامج للوزارة النسيمية ، ووضعت برنامجاً آخر مخالفاً له كل المخالفة . ولما بلغ الى كرزن وزير الخارجية في لوزان رفضه وتمسك ببرنامج ثروت فأصر نسيم على برنامجه ولهذا عدل عن دعوة مصر الى المؤتمر ولم يكن في استطاعة الحكومة المصرية ان تذهب اليه بلا دعوة او بدعوة مبنية على البرنامج السابق ، ويجب علينا ان نذكر في هذا المقام ان الامة بأسرها كانت معارضة في ان تمثل وزارة ثروت مصر في المؤتمر ، ولهذا سافر وفود منها لكي تمنع هذا التمثيل ، فمن الخطأ الواضح الدعوى بأن نسيم قصر في هذه المسألة حتى أضاع حقوق مصر ، انه لم يقصر ولم يهمل ، ولكنه ابى ان تمثل مصر ضد مصلحة مصر

ان وزارة نسيم ابتدأت ان تدافع في مسئلة السودان دفاعاً كريماً والمطلع على المذكرات التي وضعتها في هذا الموضوع يعجب كل الاعجاب بمتانة اسلوبها وقوة حجتها وصدق لهجتها وشدة التمسك بحق مصر

موقف شريف جداً . موقف لم تستطع ان تزعزعه دار المندوب السامي بقوة الحجة والبرهان فالتجأت الى القوة تبرز انيابها ، وتخطت المواقف فيه الى اعلى مقام وذهبت في تخطيها الى حد ان هددت مليك البلاد في عرشه وملكه اذا لم يقبل رأيها في النصوص الخاصة بالسودان . وهنا دخلت المسألة في ادق الادوار واصعبها ، وضيق المآزق واحرجها . فقدم نسيم استعفاءه في الحال ، ولكن ابى جلالة الملك ان يقبله ، فطلب

نسيم عقد مجلس من ذوي الرأي في الامة للنظر فيها فبعد ان اجيب طلبه عدل الى رفضه وهدد بفضه بقوة الاحكام العرفية اذا هو انعقد في عابدين كما نشرته بعض الجرائد وأكده العارفون فلم ير نسيم في هذه الحالة الحرجة مخرجاً الا ان ينصح بقبول طلب المندوب السامي بعد تعديله على الصيغة التي ظهر بها ، وكتب بهذه النصيحة مع زملائه خطاباً الى جلالة الملك ، لا للمندوب السامي كما قيل خطأ ثم اصر على الاستعفاء الذي كان قد قدمه من اول لحظة وقع التهديد فيها ، وابى كل الاباء ان يصدر الدستور بالطريقة التي طلبها الانجليز ، وضمن كتاب استعفائه كثيراً من هـذه الحقائق التي تبطل كل حجة يمكن للانجليز ان يتخذوها من تلك النصيحة ، ولا يمكن معها اي مع هذه الحقائق لاية محكمة سياسية او قضائية في العالم ان تحكم بناء عليها بضياع اي حق لمصر في السودان (تصفيق حاد)

استعفى نسيم بهذه الصورة تاركا الدستور بحالته ، تاركا لمن يخلفه الحرية اذا شاء في اصداره كما هو واضعاً في يده كل دليل لعدم اعتبار ذلك القبول، فاذا وجد من قبل الوزارة ولم يستعمل هذا الدليل لابطال ذلك القبول فالخطأ يكون من جانبه اكثر منه في جانب غيره

نعم كان الاولى بنسيم ان يصر على استعفائه ولا يرفع تلك النصيحة الى جلالة الملك ، ولو كنت محله لفضلت ذلك (تصفيق حاد وهتاف متواصل) ولكن يخفف من خطئه

اولا — المركز الحرج الذي وجد فيه من غير ان يسمح له باستشارة ذوي الراي

ثانياً — وجوده امام عرش مهدد وأمام مملكة مهددة

ثالثاً — ان الخوف الذي استولى عليه لم يكن خاصاً بشخصه ولا بمركزه بل بالعرش والملك



معالي الرئيس خارج للنزهة في المركبة



معالي سعد باشا زغلول في فرنسا

رابعاً — التعديل الذي ادخله على طلب الانجليز الذي حفظ بمقتضاه حق مصر في السودان والتصريح الذي حصل عليه من المندوب السامي بأن حكومته لا تناقش في هذا الحق

خامساً — الحقائق النافعة الجليلة التي ضمنها استعفاءه ، تلك الحقائق التي تبطل مفعول تلك النصيحة وتجعل قبول وجهة النظر الانجليزية مجرداً من كل قيمة قانونية او قضائية او سياسية

انه لا يمكن لمنصف مع هذه الظروف كلها ان ينظر بعين الرضاء الى النقد الشديد الذي قصد به خصوم ثروت ان يجرحوا من عزته ويحطوا من كرامته ، ويقللوا من اهمية خدمته في وزارته الثانية ، وفي بلد يتسابق فيه المستوزرون والوزراء لارضاء الاجنبي بما يشتهيه وبما تمجه مصلحة الامة ، ويسارعون الى عمل ما فيه الاضرار بها وبمستقبلها ، رغبة في نيل ابتسامة من فم انجليزي ، او الحصول على سند من يد انجليزي يكون من اشد المظالم وأقسى الاحكام ان ينقص من قدر رجل لم يقدم على امر ماس ببلاده الا بعد ان دافع دفاعاً شديداً ووقع تحت تأثير التهديد الشديد ، تأثير التهديد لا بما يضر شخصه ولا مركزه بل بما يضر مليكه ومملكته ، هل يستوي من ارتكب الخطأ اضطراراً ، ومن تعمد السوء اختياراً ؟ (تصفيق حاد)

هل يصح ان يقبل من تلك الاقلام التي تلوثت بمديح ثروت ان تجري بذم ثروت ؟ هل يصح ان يقبل من الافواه التي تنجست باطراء الاول كلام بالقدح في الثاني ؟ لا ! . . . ان في الرؤوس عقولا وفي العالم عدالة ، والله لا يصلح عمل المبطلين (تصفيق حاد)

ان التعديل الذي قبله لم يتضمن ضياع حق مصر في السودان كما زعموا بل تضمن حفظه ، نعم ان فيه عدم تلقيب جلالة الملك بلقب ملك مصر والسودان،ولكن يجب ان تتحمل وزارة ثروت مسئولية هذا الحذف لانه نتيجة تصريح ٢٨ فبراير الذي قبله وتمدحته به وعاقبت كل من تجاسر على

المعارضة فيه. هذا التصريح الذي حفظ حالة السودان على ما هي عليه،وكان هذا التحفظ اقوى حجة اقامها الانجليز على وجوب حذف النص المتعلق بهذا اللقب

اذن لم يضع حق مصر في السودان بل حوفظ عليه ، وان كان قابلا للضياع فلا يضيعه الا قبول تصريح ٢٨ فبراير

ولكن انصار هذا التصريح صاحوا وملأوا الارض صياحاً بأن نسيم اضاع السودان وكان هذا منهم لان يخفوا سوءاتهم ، ويستروا سيئاتهم ولكي يمهدوا سبيل الوزارة لانفسهم بما يقررونه من ضياع السودان بفعل نسيم وأنهم اذا وصلوا الى الوزارة فلا لوم عليهم اذا هم اصدروا الدستور خالياً من نص السودان

ولو ان هؤلاء كانوا وطنيين حقيقة ومخلصين لبلادهم لكانوا بدل هذا الصياح تمسكوا بعدم ضياع السودان بناء على الادلة التي اقامها نسيم في مذكرته من جهة ، وبناء على الحقائق التي اوردها في استعفائه من جهة اخرى، بهذا كانوا يسدون الطريق على كل مستوزر تطمح نفسه الى الوزارة واصدار الدستور خالياً من تلك النصوص ، ولكن هدم نسيم عندهم فوق كل شيء ، فهم يفضلونه على كل مصلحة مهما علت قيمتها وعظم قدرها

اولا — لانهم يعتقدون انه هو الذي اسقط ثروت رجلهم

ثانياً — لانه خلفه في وزارته

ثالثاً — لانه جرى على خطة مخالفة لخطته

رابعاً — لانه استنكر سياسة العنف والشدة والاتفاق مع الاقلية التي لا وزن لها

خامساً — لصرف الناس عن التعرف لثروت واشتغالهم بنسيم . وعندي ان كل هذه الاسباب توجب الاعجاب بنسيم وبخطته ويستحق معها تقدير الوطن رغم كل مكابر (تصفيق حاد وهتاف للرئيس وحياة نسيم)

اما انه شوه الدستور فهو زعم لم يقم عليه دليل بل هناك دليل على كذبه وهو انهم هم مصدروه ورواته . لقد تأكدت كل التأكد ان وزارة نسيم لم تضع مشروعاً للدستور وكل ما حصل انها تباحثت في نصوصه وكانت تبدي فيها اليوم رأياً ثم قد تعدل عنه في اليوم الثاني كما هو الشأن في كل مباحثة تباشرها هيئة . ولا يصح في العقل ولا في القياس ان ينسب الى هيئة عمل قبل ان يتم ويأخذ خطة من الظهور . فلا يؤاخذ القاضي على مشروع حكم قبل ان ينطق به في الجلسة ولا اية هيئة من الهيئات على قرار قبل ان تنشره . وكل من كان عضواً في هيئة يعرف ان الآراء قد تتغير وتتناقض حتى ينتهي البحث وتنحط الآراء على امر . ويبرز للناس . وأنهم الى هذه اللحظة احرار في ما يبرمون وفيما ينقضون ولا تترتب على آرائهم قبل هذه اللحظة مسئولية ولا مؤاخذة . ولكن خصوم نسيم لا يريدون ان يفهموا هذه الحقائق . اذ همهم ان يهدم الرجل بكل معول من معاول الهدم باطلة او حقة صحيحة او فاسدة . شريفة او خسيسة

ومن غريب امرهم انك كلما قلت لهم مثلا ان مبدأ الانتخاب على درجتين او ثلاث مبدا فاسد او ضار ، قالوا لك ان نسيم مسخ الدستور (ضحك) واذا قلت لهم ان حصر الشيوخ في طبقات مخصوصة مضر ، قالوا ان نسيم شوه الدستور (ضحك) وهكذا كلما انتقدت امراً هم الذين وضعوه وهم الذين حرروه وأمضوه وهو باق كما وضعوه وحرروه يجيبونك هذا الجواب — سخافة لا حد لها —

قلت ان وزارة نسيم لم تضع مشروعاً للدستور . ذلك لانها استعفت قبل الفراغ من بحثه اما المشروع الذي قيل عنه فهو مشروع وضعته اللجنة التشريعية ولم يكن لنسيم علم بما اشتمل عليه. ولم يعرفه الا بعد ان قدمته هذه اللجنة لمجلس الوزراء كما اكده العارفون

اورد هذه الحقائق وأقولها علناً . وأدعو كل مصري ان يتأمل فيها ويتدبرها . لانه من العار ، من الفضيحة ان يظلم الناس في سيرتهم ولهم على حسنها شهود من الحق والواقع . واذا لم يستح خصومنا من باطلهم فكيف يصح لنا ان نستحي من حقنا . اذا ساغ لهم ان يقولوا فينا الباطل فكيف لا يسوغ لنا ان نقول الحق ، ومن اولى منا بأن ينصر الحق اذا كنا نجاري المبطلين في خذلانه

الا فليحي نسيم في وزارته الأخيرة (تصفيق حاد)

استعفت وزارة نسيم على النحو الذي اسلفناه . وتهيب المستوزرون الوزارة غير ان الصياح الذي ملأ الفضاء بأن السودان ضاع وانتهى الامر فيه مهد ليحيى باشا وزملائه طريق الوصول اليها . وخرجوا بهذا على اجماع الامة

ويسوءني ان اضطر لنقد اعمال رجل عاشرته زماناً طويلا وكان لي زميلا في القضاء ولكن علاقتنا بالحق فوق كل علاقة (تصفيق حاد) ورابطتنا بمصلحة البلاد فوق كل رابطة

ولهذا نقدم للزميل عذرنا اذا نحن تعرضنا لانتقاد الوزير (ضحك)

ان يحيى باشا لم يسبق له الاشتغال بالسياسة ولم يكن له راي فيها . وقد اعترف هو نفسه بأنه كان من المحايدين اي في المعركة القائمة بين الاستقلال والحماية . وهو يعرف من نفسه انه يتأثر بآراء غيره اكثر مما يتأثر بفكره الخاص . فلم يكن له من حق في ان يقدم على ان يترأس سياسة هذه البلاد . بل كانت الذمة والوطنية تقضي عليه بأن يبتعد عنها كما ابتعد عن تلك المعركة

هذا من جهة ومن جهة اخرى فانه كان متضامناً مع نسيم في استعفائه الشريف . وهذا التضامن كان يقضي عليه بأن يتجنب كل التجنب مسند الوزارة حفظاً لهذا العهد . ولكنه خالف هذين الواجبين وقبل الوزارة . على انه كان صريحاً ولم يرد ان يخدع الناس كما خدعهم ثروت اذ صرح بأ .

معتمد في القيام بمهمته على عناية الملك ومعونة المندوب السامي . فأفاد بهذا التصريح انه لم يكن وزير بلاد مستقلة لا تزال تحت حماية الاجنبي يعني انه ليس من المغرورين بتصريح ٢٨ فبراير ولا من المغررين به . هذه صراحة يجب ان نعرفها له

انه لم ينشر برنامجاً وهذا ليس بغريب لانه ما دام محايداً فمن الطبيعي ان لا يكون له رأي خاص في سياسة البلاد وما دام معتمداً على معونة المندوب السامي فمن الطبيعي ايضاً ان يتبع رأي هذا المندوب

ولهذا كانت مؤاخذته على عدم البرنامج اقل في اعتبارنا من مؤاخذة نسيم . ولكن رأينا تأثيره برأي الغير بادياً في اكثر اعماله . لانه اصدر الدستور بعد ان عدل فيه تعديلات مضرة بحق البلاد وأصدر كثيراً من القوانين الاستثنائية التي لا يبرر صدورها عدل ولا مصلحة . وقد سبق ان تكلمنا عن كثير منها في خطبنا ومحادثاتنا و بياناتنا فلا حاجة لتكرار ما فات. فكل هذه القوانين املتها روح واحدة هي تلك الروح التي ترمي دائماً الى خنق الحرية وسد منافذها

نعرف من مزايا هذه الوزارة انها التزمت بعض الحياد في مسائل الانتخابات . ولكنها غضت النظر عن كثيرين من عمال الادارة الذين فيهم تحيز وميل لنصرة فريق على فريق . ولم يتعفف هؤلاء عن التدخل المعيب في الانتخابات وأجلت الانتخابات تأجيلا مضراً بمصالح الافراد والجماعات وألهى الناس عن اعمالهم اليومية.وأطال بلا ضرورة زمن المنافسة والمخاصمة. وعرض الاخلاق للفساد والسلام للاضطراب ثم انها اصغت الى فريق ضئيل ضنت الامة عليه بثقتها فأولت له القانون تأويلا لا ينطق على حق او عدل او مبدأ . وكان تعرضها لهذا التأويل مجرد افتئات على الهيآت ذوات الاختصاص فيه ولهذا استاء الناس عموماً له وان كان لم يفد من سعوا فيه فائدة ان لم يكن قد انعكس عليهم القصد منه

ولا يسعني ان اختم هذا الفصل من غير ان اهنئ الامة جميعها بالنتيجة التي وصلت اليها . بيقظتها وحرصها وتمسكها باختيار الاكفاء المخلصين للنيابة عنها . وتجنب الذين عرفت منهم التسامح في حقوقها والاستهتار بشئونها . ومظاهرة الاجنبي ضدها

واني على يقين بأنها ستستمر على هذه الخطة الشريفة حتى ينتهي الانتخاب وينعقد مجلس النواب تحت رعاية مليك البلاد الذي اقصى ما يحبه أن يرى هذا المجلس منعقدا باحثاً في شئون الدولة مشتركا في تحمل اعباء النظر في مصالحها . ادام الله رعايته ووفق الجميع لما فيه الخير العام

فاتني ان اذكر انه حدث في هذه المدة ان تألف حزب سمى نفسه حزب الاحرار الدستوريين تحت رئاسة صاحب الدولة عدلي يكن باشا رئيس الوزارة السابقة وجمعت له وزارة ثروت مالا انشأ به جريدة تسمى جريدة السياسة لا تزال تظهر حتى الآن (ضحك) ولم نر لهذا الحزب عملا ظاهراً كحزب سياسي ولكن بعض افراده اخذوا يلقون خطباً لا نراها جديرة بالاهتمام

— ٢٣ —

خطبته في مندوبي دائرة قسم السيدة زينب

في يوم الجمعة ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٣

ايها السادة :

ابدأ كلمتي بتقديم الشكر الوافر لحضرات رئيس اللجنة الانتخابية واعضاءها الكرام على ما تحملوا من تعب وما تكلفوا من القيام بمهمة العمليات الانتخابية الشاقة التي ابتدعتها قوانين الانتخاب على غير مثال سابق . ابتدعتها ولم يكن لها نظير في سائر البلاد . ابتدعتها وأوهم واضعوها بانها موضوعة على احدث نظام

أ بتدعوها فكانت مشاكل اربكت الناس وعطلت اعمالهم وضيعت اوقاتهم .
ولولا ان قيض الله تلك اللجان لارشاد الناس وهديهم الى سبيل الصواب لالتوت الطرق عليهم وضاع كثير من حقوقهم

لهذا اقدم وافر الشكر لتلك اللجان التي تعبت في هذا الارشاد والتي الفت لتهدي الناس للقيام بواجباتهم في هذه الانتخابات

ثم اوجه كلامي الى حضرات الناخبين المندوبين فاقول اني كنت احب ان اسعى اليكم في منازلكم واشكركم على تجديد الثقة بي . ولكنكم اشفقتم على ضعفي . وابيتم الا ان تضاعفوا على منتكم بتشريفكم عندي . فزدتم بهذا الاشفاق على فضلكم فضلا . ووجب علي ان ازيدكم فوق الشكر شكراً (تصفيق)

الاستقلال لمصر والسودان

على ان شكركم لا يكون بكلام القيه عليكم . ولا بكتاب ارفعه اليكم . ولكن باستمراري في السعي للوصول الى غايتكم التي هي مقصد الامة الاسمى وهو الاستقلال التام لمصر والسودان (هتاف وتصفيق)

ذلك الاستقلال الذي شغفت بحبه قلوبكم . وامتلأت بذكره افواهكم . وعرفه ابسط الفلاحين منكم عندما سألته عنه منذ عامين « بانه خروج الانجليز من البلاد وحكمها باهلها دون غيرهم » تصفيق حاد

الوفد والامه

هذا المعنى البسيط الواضح هو الذي وكلت الامة الوفد فيه . وتعهد الوفد لها بالسعي للوصول اليه . ووضع لمبدئه برنامجاً اشترك جميع اعضائه اذ ذاك في وضعه وفصله تفصيلا جامعاً مانعاً في بيان نشره على الناس عموماً حتى لم يبق واحد منهم غير عارف به . او متردد في فهم معناه . اذ وجده الجميع مشتقاً من شعورهم ومعبراً عما في نفوسهم . فحفظوه في صدورهم .

وايدوا الوفد في مسعاه بحسن عنايتهم وعظيم معونتهم . ولما تبين لهم انحراف بعض اعضائه عن القصد تولوا عنهم . وسحبوا الثقة منهم . واقبلوا على المخلصين يحفون بهم و يلتفون من حولهم . ويجددون عهد الثقة لهم . ويشجعونهم على الثبات والمثابرة بكل انواع التشجيع . فثبتوا للحوادث على شدتها وقاوموا الصعوبات على قوتها . وتحملوا اشد الآلام على تنوعها . وثابروا على العمل من غير ضجر او ملل (هتاف فليحي الوفد المصري) وكلما غيبت الشدائد منهم هماما قام همام آخر ينافسه في التعرض للمكاره وخوض المخاطر . وفي روح التضحية والامة من وراء الكل تواسي الغائب بجميل عطفها . وتشد ازر الحاضر بقوة ايمانها وعظيم اتحادها

فوز الوفد في الانتخابات

ولما جاء دور انتخاب من ينوبون عنها في البرلمان ليعبروا عن ارادتها ويؤيدوا مطالبها كان من الطبيعي ان يكون هؤلاء الذين عرفت صدق ايمانهم وكمال وفائهم . وحسن بلائهم اول من اتجهت اليهم انظارها . واجدر من اعتمدت على رأيهم في انتخاب نوابها . فصممت ان تهتدي بهديهم وان تأخذ في هذا الطريق بارشادهم والى الكثير من ابنائها على انفسهم ان لا ينتخبوا الا من رشحه اولئك الثقاة فتحمل هؤلاء هذه الامانة الكبرى – وبذلوا كل جهدهم في ادائها بكمال الصدق والاخلاص . وقد وفقهم الله الى ترشيح عدد كبير من الاكفاء المخلصين . ويسرني ويسر كل محب لبلاده ان عدداً كبيراً من فضلائهم نجحوا بالتزكية . وصاروا من الآن بحكم القانون نواباً كما يسرنا ان الدلائل كلها تدل على ان الباقين من مرشحي الوفد سيفوزون في النهاية فوزاً عظيما (تصفيق وهتاف اللهم قو سعد باشا)

نعمة من الله ما اعظم شأنها . وما اجدرنا ان نسجد لله شكراً على أسدائها . ونتيجة باهرة كست رؤوس الوطنيين عزة وفخاراً . وملأت

قلوبهم استبشاراً . والبست رؤوس غيرهم ذلة وصغاراً (تصفيق حاد) وجعلتهم يسرفون في سبنا وشتمنا. ولكن السباب لا يعد صوتاً في الانتخاب ولا رأياً في مجلس النواب . فليكن الامر قسمة بيننا لهم السباب ولنا مراكز النواب (تصفيق حاد وهتاف)

الوفد موضع ثقة الامة

هذه النتيجة المباركة أيها السادة آتية من أمر واحد هو ان الامة المصرية ليس لها الا مبدأ واحد اتفقت كلها عليه وهو مبدأ الاستقلال لمصر والسودان . وليس لها الا برنامج واحد هو الذي سبقت الاشارة اليه · والا هيئة واحدة وثقت بها كل الثقة في تنفيذ هذا البرنامج · هي هيئة الوفد المصري · فان كان من فازوا بالتزكية ومن سيفوزون بالانتخاب هم من مرشحي هذه الهيئة فالفضل كل الفضل في ذلك لهذا الاتحاد الجامع (تصفيق)

لابد ان يكون الانجليز في مصر ادركوا هذا السر الواضح على جليته ورأوا ان ليس في الطاقة اخفاؤه ولا من الحكمة انكاره · اذ برهانه قاطع ونوره ساطع · وانه من المخاطرة بالحق والشرف والسلام غض النظر عنه والركون الى اقوال من لم يعد لهم شأن في الامة سوى الاحتقار

لا يفض الخلاف الى الوفد

لا بد ان يكون هؤلاء رأوا ذلك واحاطوا به دولتهم لتعطيه حقه من الاعتبار في تسوية ما بين الامتين من الخلاف · وغنى عن البيان انه لا يمكن فض هذا الخلاف الا باحترام الحقيقة وكل سعى لاتفاق لا يؤسس على هذا الاحترام لا يكون نصيبه سوى الخيبة

الاستقلال ومصالح الانجليز

اننا مستعدون كما قلنا مرارا لان نعقد مع الامة الانجليزية اتفاقاً على استقلالنا التام واحترام المصالح الانجليزية التي لا تتنافى مع هذا الاستقلال وتكون مصالح مشروعة مقبولة وليس لهم الان يبينوا لنا هذه المصالح ووجوه مشروعيتها ونحن نتفاهم معهم فيها حتى نصل الى الاتفاق عليها . ونظنهم احكم من ان ينتظروا منا نحن هذا البيان لان هذا الانتظار لا يمكن تاويله الا بفكرة انهم يعتبرون مصر ملكا لهم وأهلها اتباعهم . لا يصح ان يتمتعوا فيها الا بما يمنحونه اياه من المنافع والحقوق . وهذه فكرة لا يقبلها واحد من الوطنيين كما اشرنا اليه في حديثنا من عهد قريب مع مكاتب التيمس . ولا اخال الحكومة الانجليزية تتشبث بها لكونها مخالفة لمبادىء الحق والعدل وللوعود التي بذلها والعهود قطعتها للامة المصرية امام العالم اجمع

لهذا حق لنا ان نامل كل الامل بان هذه الحكومة تعتبر مصر المصريين لا لها وتبني سياستها على هذا الاعتبار براً بوعودها وحفظاً لشرفها واحتراماً للحق ومحبة للسلام (هتاف وتصفيق حاد ونداء بحياة مصر والسودان وجلالة الملك ومعالي الرئيس الجليل)

— ٢٤ —

خطبته في حفلة الطلبة يوم الجمعة ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣

سادتي . اخاني . ابنائى

اهديكم فائق شكري على اقامتكم هذا الاحتفال العظيم تكريماً لعودتي وكنتم أخرتموه لانحراف ألم بي . واحمد الله تعالى ان سجاني الجدد وهم ضباط صحتي لم يحاولوا أن يمنعوني هذه المرة من الخروج الى هذا الاجتماع

وشهوده لانهم يعلمون انه اجتماع الشباب والشباب ينشر على من حوله اشعه من الحرارة تكسب الجسم قوة وتفيد الصحة اعتدالا (هتاف شفاك الله يا سعد)

وفي الحق اني أشعر كلما رأيتكم بدبيب من القوة يدب في جسمي وبدافق من السرور يصب في قلبي . أتخيل كاني عدت الى الصبا . وعادت الى صدري حماسته . فاستسهل كل صعب وأستهين بكل خطب . وألبي كل صوت يدعو الى التقدم والارتقاء (هتاف وتصفيق)

ان الشباب هو تلك الحلقة الذهبية التي تربط المستقبل بالماضي . وكل مايصدر عنه محبب الى النفس . والنفس منجذبة اليه لانه يصدر عن اخلاص في نضارة . وعن كرم في طهارة . انه ربيع هذه الامة .وهو قوتها العاملة . وأملها الصادق (تصفيق) وبه صرخت صرختها فدوت في الخافقين ٠ وقامت قومتها فلفتت أنظار العالمين ٠ ومنه استمدت قوتها فثبتت للخطوب وقد ادلهمت ٠ وصبرت على المصائب وقد ألمت ٠ وجاهدت جهاد الابطال في سبيل استقلالها مصممة الا تعدل عن سعيها حتى تنال ما أملت أو يكون الموت خيرا لها (تصفيق حاد) ٠ نعم صممت هذا التصميم الحازم بقوتكم ٠ ونبتت هذا النبات الدائم بمعونتكم ٠ فسعيد من رآكم وفهمكم ٠ سعيد لانه يرى فيكم أكبر سلوة وأقوى عدة اعدتها الامة لتحقيق أمانيها

اننا (أعني الشيوخ) نطل من عيونكم اللامعة على المستقبل الذي لا نشك في انه سيكون بعناية الله مستقبلا زاهراً ٠ ونرى فيكم خير كفيل باتمام العمل الذي ابتدأ وانجاح المساعي التي بذلت لكسب القضية الكبرى — لذلك أحيي فيكم زملاء أشداء ٠ وأخواناً في النهضة الوطنية وأنحني احتراماً أمامكم (أصوات عفواً) بصفة كونكم أمناء شرفنا ، وحفظة استقلالنا في الايام الآتية (تصفيق حاد وهتاف ليحيى تواضع الرئيس) وسيكون بين أيديكم مصير مصر الحرة — نعم سيكون هذا المصير بين أيديكم ٠ فياله من مجد وفخار ويالها من مسئولية هائلة

لاتنسوا أيها الابناء أنكم من أمة قد أعلن على التعليم والتهذيب فيها حرب نظامية أكثر من اربعين عاماً . واذكروا دائماً أنكم بفضل ما امتزتم به على غيركم من العلم والتهذيب زاد عبء الواجب عليكم نحو الشعب المصري الذي تنتمون اليه . فاستعدوا اذن للقيام بهذا الواجب الذي ينتظركم لتؤدوه على أطيب الوجوه وأكملها . واذكروا جيداً أن لا نهوض لامة ولاسعادة لشعب الا بالعلم والاخلاق الفاضلة فانشدوا الكمال العقلي والخلقي وتأكدوا أن لقوة الغشوم اذا انتصرت على الحق زماناً فان قوة النفس المهذبة العالمة . والارادة المرتكزة على الحق تنتهي على الدوام بالنصر والفوز الباهر لانها دون من كل قوة . وأقوى من كل ارادة (تصفيق حاد)

سر عظمة الامم يابني هو ذكاء أبنائها وعلمهم وثباتهم على الجد والعمل فضعوا هذه الحقيقة أمام أعينكم . وليعمل كل منكم على أنه جندي في جيش انقاذ الوطن . وليقل في نفسه أني أعمل لهذه الغاية وأجد في عملي وأستمر في اخلاصي . لانه يتوقف على عملي واجتهادي واهتمامي بالشئون العامة واخلاصي لها سلامة البلاد وعظمتها وسعادتها . اذا فعلتم ذلك ولا بد أنكم فاعلوه . يبدو الواجب امامكم واضحاً جليا ، وتسهل الصعاب في طريقكم ويتغلب مجهودكم على ما يعترضكم من العقبات وتكلل مساعيكم بالنجاح . وتبارك لكم أمكم مصر في أعمالكم وأعماركم ومستقبل أيامكم

قال رينان لجمع من الشبان مثل جمعكم « ان كل شيء من حولكم سيتحول ويتغير . وربما تشهدون تغييرات أعظم من التي جاء بها التاريخ الانساني لغاية الآن . ولكن مالا شك فيه هو أنكم ستلاقون في كل أدوار الحياة التي تمرون بها خيراً لان يعمل . وحقيقة لان تبحث . ووطنا لان يحب ويخدم »

ايها الابناء : هذه نصائح القيها عليكم . لا لاني أشعر بأنها مجهولة لديكم . ولكني القيها لاني شيخ . والشيوخ يحبون عادة اسداء النصح للشبان .

وقد يكون منشأ هذا الحب هو رغبتهم في أن يثبتوا أن حياتهم الماضية لم تكن حياة ضائعة . وان وعاء تجاربهم قد امتلأ بالحكمة وفاض بالعبر

لسنا في حاجة الى أن ارجع بكم الى الوراء خمس سنوات . ايام كان يتساقط تحت الرصاص من بينكم أخوان لكم القوا بأنفسهم الى الموت وهو فاغر فاه . العوها بشجاعة نادرة ليضربوا لمن بعدهم من الاجيال احسن الامثال في التضحية . لا حاجة الى ذلك وما على الباحث الا أن ينظر الى سير الحوادث الاخيرة ليرى بجانب آثار الشجاعة والاقدام علامات كثيرة من الصفات الفاضلة علامات البصيرة . وحكمة الشيوخ في نشاط الشباب

جادوا بتصريح ٢٨ فبراير على صوت المدافع . وازير الصدور التي كانت تغلي غضباً وسخطاً من نفي الاحرار وابعادهم وأقاموا للمجيء به احتفالا رسمياً ليخدعوا الامة عن المعنى الحقيقي لاستقلالهم المزيف . ذلك الاستقلال الذي التفط السماسرة خرزة من سوق المستعمرين وثبتوه في طوق الحماية . ولفوه في (بقجه) من الاضاليل فما اغتررتم بما زخرفوا وبما زينوا ورفضتم أن تشتركوا في احتفالهم . وان تنخدعوا باستقلالهم وأبت فطرتكم من اول الامر ان تقبله . كما رفضناه نحن بعد الدرس والتمحيص وهكذا اتحدت نظراتكم الصائبة مع ما وصلنا اليه من النتائج الحقة بالقياس الصحيح . ولقد فصلت شيئاً من هذا الاجمال في بعض خطبي السابقة . وربما سنحت لي فرصة أخرى في الاتيان على الباقي

الفوا لجنة من انصارهم واتباعهم لوضع دستور للبلاد على قواعد زعموا أنها احدث القواعد واحكمها . فادركتم لاول وهلة ان في هذا افتئاتاً على حق الامة التي اليها وحدها يرجع الامر في وضع دستورها . وكنتم في مقدمة المعترضين على هذا الافتئات كما كنتم في رأس المعترضين على هذا الدستور بعد وضعه واصداره . وابيتم الاشتراك في الاحتفال الذي اقاموه فرحاً بولادته لانكم رأيتموه على خلاف ما زعموا . اذ وجدتم فيه كثيرا من

المبادىء الرجعية . كنتم اشد الناس سخطاً على القوانين المقيدة للحرية التي أصدرتها الوزارة الحالية . واعظمهم استياء من الاتفاقات التي عقدتها مع الحكومة الانجليزية . تلك الاتفاقات التي صحبت قانون التعويضات . ولم ترد أن تنشرها معه على الناس حتى كاد يفوت عليهم امرها (مش كده يا امين بك) ومن بين هذه الاتفاقات ذلك الاتفاق الخاص بالمحكوم عليهم سياساً . ولا يمكنني أن اقاوم الرغبة في الكلام على هذا الاتفاق عند ذكره لانه متعلق بحق يشكو وأرواح تتألم

يحزنني ويحزن قلب كل مصري ان تتخلى حكومتنا المصرية عن قسم من المصريين الذين قضى سوء البخت عليهم بأن يساقوا الى المحاكم العسكرية تحت الاحكام العرفية . ان تتخلى الحكومة عنهم مهما كانت التهم المسندة اليهم . ومهما كانت الاحكام الصادرة عليهم . انما هو تخل عن الدفاع عن الكرامة القومية وتنزل عن اقدس حق للوطنيين . ان من حق كل وطني ان يتمتع بقاضيه الطبيعي . ويحق العفو من ولي امره التشرعي . والا يكون لسلطة أجنبية يد عليه . فاذا كانت ظروف خاصة قضت بأن تحكم محاكم عسكرية انجليزية على هؤلاء المصريين فما هي تلك الظروف التي اوجبت جعل حق العفو عنهم راجعاً الى حكومة احنبية اذ اللجنة التي تألفت لهذه الغاية اغلبيتها انجليزية ؟ وما الذي صحح للحكومة المصرية ان تسلم هؤلاء المصريين لحكومة اجنبية بأن جعلت لها دخلا في طريقة العفو عنهم ؟ اذ كانت الحجة في هذا التسليم ان المحاكم التي حكمت عليهم انجليزية فهذه المحاكم لم تعمل هذا العمل الا لحساب مصر . وتحت حجة حفظ النظام فيها ، وما دامت الحكومة الانجليزية تخلت عن امر المحافظة على هذا النظام فلماذا تحتفظ بحق السيطرة على أولئك المحكوم عليهم . واسدامة سلطتها فيهم بتعليق العفو عنهم على مشيئة رجالها ؟ اننا لا نفهم علة لهذا التسليم . ولا يمكننا ان نفهمها . على انه نفرض ما لم يكن مقبولا ان للحكومة الانجليزية شيئاً من الشأن في مراقبة

تنفيذ الاحكام الماسة بالاجانب بمقتضى ما زعمته لنفسها من حمايتهم فليس من المفهوم ولا بقابل للفهم ان يكون لها مثل هذا الشأن فيما يختص بالاحكام التي حدرت تحت القانون العرفي ولا دخل للاجانب فيها . وكثير من المحكوم عليهم سياسياً هم من هذا القبيل. ولهذا لم نفهم للحكومة عذرا في هذا التسليم . بل في هذا الاستسلام الذي أخل بواجب حماية الوطنيين ذلك الواجب المقدس

انى أرثي بكل قلبي لحال أولئك المحكوم عليهم سياسياً واكبر ما أخشاه ان يكون أصابهم من خطأ القضاء ما أصابني فقد رفعت قضية على الحكومة الانكليزية في جبل طارق لكونها سجنتني ظلما وضد القانون . فرفض القاضي طلبي . ولا شك ان الدهش يأخذكم اذا علمتم ان أهم الاسباب التي اعتمد القاضي عليها في هذا الرفض هو اني محكوم علي من محكمة عسكرية في مصر . وان المحكوم عليه من محكمة خارجة عن جبل طارق لا يصح لقاضي هذا الجبل ان ينظر في قضيته • ومما يزيد دهشتكم انه قال ان هذه الواقعة مثبتة من شهادتي التي اديتها ومن شهادة الدكتور حامد • وهما خاليتان من هذه الواقعة ولا أثر لها فيهما • كما ان الواقع الذي تعرفونه خال منها

على ان قضيتي هذه كانت بسيطه وأوراقها قليلة ووقائعها مرتبة وغير مشتته• والشهادات فيها غير متشعبة ومحررة بلغة قاضيها • ولم يستغرق بحثها اكثر من جلسة واحدة . وحصل نظرها في جو هادىء خال من الاضطراب وتنازع الشهوات . وكان القاضي من أهل الفقه ومن الذين تخصصوا للقضاء فما بالكم بقضايا أولئك التاعسين التي تعددت موضوعاتها وتعقدت . واختلفت وقائعها وتشعبت .وكثرت شهودها واختلفت شهاداتهم باختلاف أشخاصهم . واختلاف الامكنة والازمنة التي تأدت فيها . وكان قضاتها من الضباط العسكريين ومن الاجانب عن المتهمين . وعن الشهود . لا يعرفون لغاتهم ولا شيئاً من عوائدهم واخلاقهم . وكان نظرها في زمان

تكدرت سماء السياسة فيه . وتلبدت بسحب كثيفة من الشبهات وفي وسط امتلا بالشكوك والاوهام . أفيمكن مع كل هذه الاحوال أن يكون الخطأ مأموناً وأن يكون الصواب مضموناً . اني اردد كثيرا قبل ان يتغلب على هذا الظن . ويزيد في ترددي اني تتبعت في غربتي كثيراً من وقائع هذه القضايا . وقرأت كثيراً من شهادات الشهود فيها التي روتها الجرائد وبحثتها بحث من اشتغل بالمحاماة والقضاء الجنائي عدة سنين . فرأيت من التناقض بينها . ومن علامات التلفيق فيها ما لا ترتاح الذمة للحكم معه على حيوان فضلا عن انسان . هذا اذا لم يكن هناك حقائق اخرى لم اقف من الجرائد عليها . او كان نقل هذه الجرائد غير مطابق للصحة

واني ارجو ان اللجنة التي تألفت في وزارة الحقانية للبحث في امر هؤلاء المحكوم عليهم تراعي تلك الاعتبارات عند بحث التهم المسندة اليهم وتقدير العقوبة الموقعة عليهم . وأن يتذكر اعضاؤها الكرام انهم وهم جلوس حول مائدتها لبسوا نواباً عن السياسة التي لا قلب لها ولكنهم نواب عن الانسانية في اصلاح خطأ القضاء . وعن مليك البلاد يمثلون رأفته . والانسانية تتألم من ظلم بنيها . وأحب الاشياء الى قلب جلالته ان يتمتع كل مصري بنصيبه من عدالته وحظه من رحمته (هتاف فليحي جلالة الملك وليحي سعد)

بعد هذا الاستطراد اعود الى موضوع آثاركم التي انعقد هذا الباب للكلام عليها

جاء دور الانتخاب وتبينتم من قوانينه صعوبة مسائله وغموض مشاكله . وشعرتم بمسيس الحاجة الى من يرشد عن وجه الصواب فيه . فانتشرتم في طول البلاد وعرضها . وألفتم لجاناً من اوسعكم كفاءة . وأكرمكم قلباً . لتلفت الناس الى واجباتهم . وتحضهم على كتابة اسمائهم . والمسارعة الى اماكن الانتخاب في اوقاتها المعينة . وما قعدتم عن سفر . ولا سكنتم في حضر . ولا تهيبتم من مشقة . ولا ارتحتم من تعب . ولا نمتم من سهر طول

المدة الماضية. وآليتم الا تنام لكم عين حتى ينتهي امر هذه الانتخابات على ما يوافق مصلحة البلاد. ولقد ترتب على حسن مساعيكم والقيام بالواجب الذي اهملته الحكومة مع كونه من اهم واجباتها الانتخابية ان قيد كل من له حق الانتخاب تقريباً اسمه في جدوله. وتسابق الناس الى اماكن الانتخاب حتى بلغ المتسابقون حوالي الستين في المئة. وفازت الاقاليم بقصب السبق في هذا الميدان اذ بلغ من تقدم منهم الى بعضها اكثر من ٨٦ في المئة وصح لرئيس الوزارة ان يباهي في تصريحه الاخير بهذه النتيجة الباهرة. كما اسودت وجوه الذين اشاعوا تهاون المصريين فيها وانصرافهم عنها. وكان لكم دخل كبير في الفوز الذي حازه المخلصون الاكفاء. وفي خيبة غيرهم من الذين عرفت الامة حقيقة احوالهم. فحرمتهم من ثقتها. وأبعدتهم من مراكز النيابة عنها. فامتلأت قلوبهم غيظاً منها ومنكم وراحوا كمن اصابه مس يطلقون السنتهم بذمها وذمكم وهم لا يشعرون ان هذه الطريقة التي سلكوها ايدت حق الامة في ابعادهم. وعممت سوء الظن بهم. وهكذا سلط الله عليهم اخلاقهم فأحبط اعمالهم (تصفيق حاد)

لقد سعوا في نقض ما تم من جهة الامة في الانتخابات واستعانوا بسلطة الاجنبي لدى الحكومة لتؤول القانون طبق شهوتهم فأعانتهم غير مرة حتى اوقعها الميل الى معونتهم في كثير من المتناقضات. وكاد يخرج بها عن الحيدة التي طالما باهت بالتزامها وحتى قلل من اعتبار آرائها وقراراتها في مسائل الانتخاب

انهم يشيعون اليوم اشاعات شتى عن نيات الوزارة في البرلمان. فيؤكدون تارة انها ستؤجل انعقاده لاجل بعيد او قريب ويؤكدون تارة اخرى انها ستلغي الانتخابات لانها وقعت في زعمهم على الذين لا يحترمون الدستور ولا يريدون ان يحلفوا اليمين على احترامه ولانها حصلت بطريق التهديد والاكراه. والذي يعلمه الناس والحكومة انه لا حقيقة لهذه الاسباب التي يبدونها. وأنها من مخترعاتهم. والوزارة لا يمكنها ان تأخذ على مسئوليتها

لا ذلك التأجيل ولا هذا الالغاء لانها تعرض نفسها لتبعة كبرى امام مليك البلاد . وأمام الامة وأمام العالم اجمع . ان الذين فازوا بالانتخاب لغاية الآن والذين سيتم الفوز لهم ان شاء الله هم من خيرة رجال الامة اخلاصاً وكفاءة . وكلهم مستعدون لاداء القسم القانوني ولاحترام الدستور ما دام قانوناً معمولا به ولا يمنعهم هذا القسم من ان ينظروا في احكامه . ومن ان يقرروا ما يستحق التعديل منها بالطريقة التي نص عليها نفس هذا القانون (تصفيق حاد) اذ لا تنافي بين الامرين . ما دام كل منهما يتم طبقاً لما يقتضيه . والقول بغير ذلك مخالف للفظه وروحه . وان صح يترتب عليه استحالة تعديله . وتعطيل نصوصه الخاصة بهذا التعديل

على انه بعد ان ظهرت النتيجة التي تم ظهورها لغاية الآن والتي اثبتت للعالم اجمع ان الامة كلها كلمة واحدة فيما يختص باستقلال البلاد . وبمن تجتمع فيه الصفات اللازمة للمطالبة به والسعي فيه . فلا يضر قضيتها شيء : تأجل الانتخاب او تعجل . اعتبرته الحكومة صحيحاً او الغته . اذ كلها هي كلمتها لا تغيير فيها ولا تبديل مهما تغيرت الاحوال (تصفيق حاد) وتبدلت اشكال الحكومة . والذين ينتظرون من وراء هذا التأجيل او الالغاء تغييراً في كلمتها او تبديلا في ثقتها او تعديلا في خطتها ازاء الطامعين فيها وأنصارهم سوف تنقضي اعمارهم وأعمار من بعدهم من الاجيال قبل ان يروا هذا التغيير (تصفيق وهتاف فليحي الرئيس . فليحي سعد)

ان الامة وطدت عزمها على السعي لغايتها . واحتقار كل من يساعد خصومها وصممت التصميم الجازم على ان تنال الاستقلال التام او الموت الزؤام (تصفيق حاد وهتاف بحياة مصر والسودان وحياة سعد)

---

*

— ٢٥ —

سعد باشا يتكلم

ذكرى ٢٣ ديسمبر في نادي سيروس

سادتي :

في مثل هذا اليوم من عامين سطت القوة الغاشمة في عنفها على الحق في مأمنه . احاطت منزلي من كل جوانبه بعساكر مدججين بالسلاح وأدخلت جانباً منهم فيه. فملأوا قاعاته وطبقاته واقاموا منهم اربطة على ابوابه ومنافذه. وصعد بعضهم الى مخدعي فأزعجوني من نومي. وأرادوا ان يقبضوا علي قبل ان البس ثيابي فلم امكنهم حتى لبستها ثم انزلوني وهم يحيطون بي . وحرمي من خلفي تريد مزاملتي . فمنعوها . وأركبوني عربة من عربات الاسعاف تتقدمها سيارات اخرى علاها جماعة من الضباط والعساكر وبأيديهم البنادق مصوبة من خلفنا لاطلاقها على كل من يتتبع خطواتنا . فعلوا ذلك من غير حكم اعلنوه . ولا قرار تلوه. ولا كتابة اطلعوني عليها ولا تعيين للجهة التي وجهوني اليها . وساروا بنا الى السويس في طريق غير ممهد . بلا ماء ولا زاد الا قليلا من الخبز تكرم علي بعض الضباط بقطعة منه مع شيء من الجبن فتبلغت بهما. وما زال السير يجد بنا في هذا الطريق العاثر يحطنا تارة ويرفعنا تارة اخرى من الساعة الثامنة صباحاً الى الساعة الخامسة بعد الظهر حيث اوصلونا الى معسكر الهنود. وتلقاني بعض الضباط وأنزلوني في خيمة تعصف الرياح من خروقها بعد ان قدموا لي شيئاً من الطعام فأكلت ونمت بملابسي اذ لم يسمحوا لي بأخذ شيء معي ولكني بحمد الله لم اشعر بتعب مع اني كنت اتعب من سير ساعة واحدة بالسيارة في الطريق ولكن الله امدني بقوته وجعلني اتحمل كل هذه المشقات من غير ان اشعر بشدتها. وفي

الليلة التالية اتصل بي صحبي الذين قبضوا عليهم من بعدي فأنست بلقائهم وسرني ما رأيتهم عليه من رباطة الجأش ومقابلة هذه الشدة بالثغور الباسمة والنفوس المطمئنة ومكثنا في هذا المعسكر الى ٢٩ ديسمبر حيث امرنا في آخر العشاء بالاستعداد للسفر في ظرف نصف ساعة . فدهشنا لهذه المفاجأة . وانصرف كل منا يحزم متاعه ثم اركبونا في سيارة مغلقة الى المرفأ وكانت السفينة المعدة لركوبنا خارج الميناء فأنزلونا الى زورق فيه بعض الوطنيين الذين بكوا للمائنا في تلك الساعة بكاء مراً . وكنا نطمئن خواطرهم بالاشارة تارة وبالكلمات تارة اخرى

وصل بنا الزورق الى السفينة واذا بها مملوءة بالجنود الهندية ونزل كل منا في الحجرة المعدة له وعلمنا حينئذ بأن وجهتنا عدن التي وصلناها في مساء يوم الاربعاء ٤ يناير ثم بعد ان اقمنا بها الى ٢٨ فبراير نقلونا الى سيشل ثم نقلوني الى جبل طارق حيث اقمت من ٣ سبتمبر الى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٢ . ثم افرج عني في ذلك التاريخ

قضينا كل هذه المدة في سجون ومعاقل تختلف ضيقاً وسعة باختلاف الجهات . قضيناها بمعزل عن الناس لا يجتمع بنا احد منهم الا باذن ولا نرى احداً الا تحت اعين الرقباء . ولا نروض اجسامنا الا كما يريدون . ولا نتحرك في مكان الا حسب ما يرسمون . ولا نعلم من امور الدنيا شيئاً الا بمقدار ما يسمحون . ولا نتلقى كتاباً من اهلنا الا اذا فتحوه وبحثوه . ولا اشارة الا قرأوها وحكموا بصحة تبليغنا اياها بنصها او بمفادها . ولا تصدر منا رسالة الا بعد اطلاعهم عليها وسماحهم بارسالها وحظروا علينا ان لا نتكلم حتى عن الصحة . حتى عن الهواء . وحرموا على كل مصري ان ينزل الى جبل طارق . ومنعونا من ان نستخدم اي انسان بدون واسطتهم او نعامل احداً من غير اطلاعهم . ولكن هذه القيود على شدتها . هذه المعاملات على قسوتها لم تحدث في نفوسنا الماً . ولا في قلوبنا حزناً . ولا في ايماننا ضعفاً .

ولا في ثقتنا بالمستقبل شكا ٠ بل كنا نستعذب آلامها ٠ ونرتاح لمضايقتها ٠ اعتقادا منا بشرف العمل الذي من اجله نفينا ٠ وبنبالة القصد الذي بسببه وقعنا في هذا العذاب

اي شرف اكبر من الشرف الذي يحرزه من عرض نفسه لفداء وطنه٠ بل اية لذة اشهى للنفس وأحلى من اللذة التي يجدها الوطني في تعذيبه لمصلحة بلده؟ وفوق ذلك فاننا كنا نعتقد ان من ورائنا امة حية يقظة ادركت لاول وهلة ان القصد من هذا النفي لم يكن الا ارهابها واضعاف ايمانها وزعزعة ثقتها بزعمائها وأنها لم تزدد بارهابهم الا اطمئناناً ولا باضعافهم الا ايماناً ٠ ولا بتشكيكهم الا يقيناً نعم كان هذا قصدهم توهماً منهم ان هؤلاء الزعماء هم الذين نبهوا الامة من غفلتها وأيقظوها من نومتها وأنه يكفي ابعادهم في نسيانها اياهم وتخليها عنهم واتباع غيرهم من مراض القلوب انصارهم الذين ظاهروهم على هضم حقوقها والتمكين لهم في حكمها ولهذا فانهم بعد ان باشروا هذا النفي جاءوها بمشروع كيرزن وحاولوا ان يحملوها على قبوله في صورة اخرى وتحت اسم آخر ٠ في صورة منحة وباسم تصريح ٢٨ فبراير

ولقد سبق ان تكلمت عن هذا التصريح في بعض خطبي وأريد الآن ان اتكلم فيه من وجوه اخرى : من وجهة تاريخه ومنشئه وسببه والمبدأ الذي بني عليه ونتائجه والاشخاص الذين قبلوه وتعهدوا بتنفيذه

تاريخ تصريح ٢٨ فبراير ومنشؤه وسببه

ان تاريخ هذا التصريح يبتدىء من اواخر فبراير سنة ١٩٢٠ عند ما كانت لجنة ملنر بمصر وسمح الوزراء الثلاثة لانفسهم بأن يتحادثوا مع رئيسها وأعضائها في شؤون مصر ٠ فقد سأل عدلي باشا ملنر في اواخر فبراير المذكور قائلا

«اذا لم تحصل المفاوضة فماذا يكون من امر الحكومة الانجليزية مع مصر ؟»

فأجاب ملنر « تجري الامور اذ ذاك كيفما تستطيع ان تجري »

فقال عدلي « ولكن لماذا لا تعطونا اذ ذاك ما انتم في استعداد لاعطائه اذا حصلت المفاوضة »

فقال ملنر « ما فائدتنا في ان نعطي كل ما في قبضة يدنا الآن والامة المصرية تستمر على حالها من العداء لنا »

فقال عدلي « يجوز الا تستطيع هيئة ان تقبل باسم الامة الحل الذي تودون الوصول اليه بطريق المفاوضة ولكنه مع ذلك قد يكون له اثر طيب في الامة »

فقال ملنر « هذه نتيجة غير محققة واني اريد الا يعمل عمل من جانبنا فقط وفوق ذلك فاننا اذا عملنا شيئاً فلا نذهب فيه الى الحد الذي كنا نسير اليه لو كان هذا العمل بطريق الاتفاق بيننا وبينكم لاننا الآن قابضون على كل شيء ولا نريد ان نفرط في ذلك الا اذا عوضنا عنه شيئاً آخر وهذا الشيء هو ان تكون مصر حليفة وصديقة لنا »

وفي لندن عند آخر المفاوضات يظهر ان عدلي باشا اعاد الكرة على هذه الفكرة مرة اخرى في حديثه مع اللورد كيرزن اذ ورد في الكتاب الابيض بوثيقة نمرة ٤ ما نصه :

« ولقد حدث ان عدلي باشا في خلال حديثه الاخير معك سأل لماذا لا تنفذ حكومة جلالة الملك من تلقاء نفسها الخطة الواردة في مشروع المعاهدة الذي رفض ولم يكن جوابك على ما يظهر بحيث ينفي امكان اجراء مثل هذه الخطوة . على ان يكون من المستطاع تأليف وزارة تكون مستعدة للعمل معنا »

ويظهر ايضاً من هذا ان عدلي باشا روى للورد اللنبي هذا الحديث عند عودته الى مصر ومقابلته اياه

هذا هو تاريخ تصريح ٢٨ فبراير عرض اصله عدلي باشا أولا على ملنر ثم على كيرزن ثم على اللورد اللنبي

اما سببه فاجماع الامة على عدم قبول اتفاق يتضمن ما دون الاستقلال التام وعدم وجود هيئة وزارة يمكنها ان تخالف هذا الاجماع وشدة رغبة الانجليز وعدم الاعتراف لمصر بذلك الاستقلال

وهذا السبب صريح جدا في حديث عدلي مع اللورد ملنر الذي رويناه وفي العبارة التي نقلناها عن الكتاب الابيض • وفي العبارة الآتية المنقولة من هذا الكتاب ايضاً تحت نمرة ٧ ونصها :

« لا يسعني الا ان اطلب اليكم والى حكومة جلالة الملك ان تصدقوني اذا قلت انه ليس ثم مصري كائناً ماكانت آراؤه الشخصية يستطيع ان يوقع اية اداة لا تتفق في رأيه مع الاستقلال التام ولذلك فانه من الضروري العدول نهائياً عن الفكرة القائلة بأن المسألة المصرية يمكن تسويتها بواسطة معاهدة »

من هذه العبارات جميعها يتبين جلياً ان السبب في هذا التصريح هو كما قلنا سابقاً شدة تمسك الامة بكامل حقوقها واصرار الانكليز على معارضتها فيه • وعدم وجود من يجرؤ على تحمل مسئولية التعاقد مع الانجليز على ما دون الاستقلال التام

المبدأ الذي بني عليه

اما المبدأ الذي بني عليه فهو اعتبار انجلترا بالنسبة لمصر كما كانت تركيا بالنسبة اليها اي اعتبار انجلترا متبوعة ومصر تابعة لها • هذه الفكرة واضحة فيما جاء بالكتاب الابيض في وثيقة نمرة٧التي يقول فيها اللورد اللنبي ما نصه:

« ان العلاقة بين بريطانيا العظمى ومصر اليوم شبيهة بما كان بين تركيا ومصر قبل نشوب الحرب • ولما كانت تركيا تمنح مصر شيئاً في الماضي كانت الطريقة التي جرت عليها من جانب واحد • فمثلا منح خديوي مصر حقوقاً

معينة بواسطة سلسلة من الفرمانات بين عامي ١٨٤٠ و ١٨٩٢ وكان اهم هذه المنح في سنة ١٨٧٣ حيث منحت حقوق معينة فيما يختص بتسيير العلاقات الخارجية »

ثم قال اللورد اللنبي تحت نمرة ٩

« ان الفكرة التي تقوم عليها النقطة الرابعة (يعني اعادة وزارة الخارجية) في برنامج ثروت هي ان ترجع مصر الى الاحوال التي كانت سائدة فيها سنة ١٩١٤ قبل ان تعلن الحماية »

حينئذ قبول تصريح ٢٨ فبراير هو قبول لهذه الفكرة اي تبعية مصر لانجلترا : تبعية المسود للسيد لا المحمي للحامي فقط فهل ترضون ذلك ؟ (كلا كلا)

نتائج هذا التصريح

ان النتائج المترتبة على هذا التصريح تنقسم الى قسمين : قسم المزايا وقسم الضمانات

فالاول ينحصر في انهاء الحماية والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة والثاني ينحصر في النقط الاربع المحتفظ بها . هذه النقط تشتمل في عباراتها الوجيزة على معان واسعة جداً بعضها ظاهر وبعضها خفي يدق عن فهم الكثيرين الذين ليس لهم عادة بممارسة الصيغ السياسية ولا اتصال بمصادرها ولا معلومات تختص بها. وهم يعنون ان التحفظ الاول يندرج تحته كل مسألة لها علاقة بالقوى العسكرية البرية والبحرية الخ

والتحفظ الثاني يندرج تحته

١ — عقد الاتفاقات السياسية مع الدول الاجنبية

٢ — توظيف الضباط والمستخدمين الاجانب

٣— السلف الخارجية والالتزامات التي تتعلق بايرادات المصالح العمومية

ويندرج تحت التحفظ الثالث

١ — الاتفاقات المختصة بالغاء الامتيازات

٢ — تعيين مندوب سام مالي ومستشار قضائي وتحديد خصائص كل منهما

٣ — القروض التركية لسنة ١٨٢٢ و ١٨٩١ و ١٨٩٤

٤ — تقرير مبادىء بصفة قانون اساسي لضمان الحقوق المدنية بما فيها حرية الاعتقادات والمذاهب لجميع سكان مصر ومساواة كل المصريين امام القانون بالنسبة للحقوق المدنية والسياسية وحرية اللغات وعلى العموم حماية الاقليات المصرية في الجنس وفي الدين وفي اللغات . وقد اشير في الوثيقة نمرة ٢٣ الى هـذه المعاني الشـارحة والى انها منطبقـة على كثير من مواد مشروع كيرزن

ويؤكدون ان ثروت وصدقي امضيا على هذه التغييرات وتعهدا بصفتهما الشخصية بتعهدات ينفذانها عند تولي الوزارة كالتعهد بعدم الدخول في اتفاقات سياسية بدون استشارة المندوب السامي وبعدم توظيف الضباط والمستخدمين الاجانب من غير رضائه سواء كان ذلك في الجيش او البوليس او في غيرها من الوظائف ابتداء من وظيفة مدير ولا تعقد سلفة خارجية او تخصص ايرادات مصلحة عمومية للوفاء بأي تعهد من غير موافقة المستشار المالي كما تعهدا بأن ينظرا الى المسائل المندرجة بعين الاعتبار

قسم المزايا : هذا القسم كان يصح ان يكون له اهمية كبرى لو تجرد عن قسم الضمانات لانه ينهي الحماية التي نهضت الامة للسعي في اعلان بطلانها والاعتراف بالاستقلال الذي جعلته اكبر همها وغاية سعيها . ولـكن اضافة الضمانات اليه واحتفاظ انجلترا بها وتوليها التصرف فيها بطريقة مطلقة حتى يحصل الاتفاق عليها اي حتى تشاء هي كما ينص التصريح قد اضعف هذه المزية حتى صارت كالعدم وأشبه منحها بهذه الضمانات على هذه الصورة كمن يقول لآخر اني اعطيتك الفاً الا الفاً فان كانت هذه العبارة تفيد ان المعطي ملكه

شيئاً للمعطى اليه يكون تصريح ٢٨ فبراير الغى الحماية واعترف بالاستقلال الغاء واعترافاً حقيقيين

وجد اعرابي ناقة جميلة معروضة في السوق للبيع وفي عنقها حذاء صغير فسأل ربها بكم يبيعها؟ فقال اني ابيعها مع الحذاء بألف دينار وبدونه بدينار واحد ولكن لا يمكن بيعها الا معه. فقال انها والله لمليحة رخيصة لولا الملعونة في عنقها (ضحك) فهذا التصريح من غير التحفظات مليح الملاحة كلها وجميل كل الجمال ومفيد اعظم فائدة ولكنه بهذه التحفظات هو الحماية بعينها. نعم انه لم يقرر ان لانجلترا حقاً فيها وترك امرها لمفاوضات حرة تحصل بين الطرفين ولكن التسليم لها بصحة الاحتفاظ بها والتصرف فيها بطريقة مطلقة الى ان يحصل الاتفاق عليها يساوي تقرير ذلك الحق ويعادله لان التوقيت بالاتفاق يساوي التأييد. اذ يجوز لانجلترا الا تتفق وحينئذ لا تخسر شيئاً بل تبقى متصرفة بهذه الامور على طريقة مطلقة وتكون المضرورة والخاسرة مصر فماذا ينفعها حينئذ ان يكون اسمها دولة مستقلة وأن يكون لها ممثلون لدى الدول الاجنبية ولهذه الدول ممثلون لديها اذا كانت لا تستطيع عقد اتفاقات سياسية؟؟ وماذا يفيدها ذلك وجنود الانجليز يروحون ويغدون في ارضها ويقيمون في ثكناتها وطياراتها تحلق في سمائها وفوق رؤوسها وموظفوها في المالية والحقانية ينهون ويأمرون ويشتركون في جميع الشؤون الداخلية ؟؟ ماذا تفيد كل هذه الالقاب والسودان على ما هو عليه تدار اموره بغير اذننا ومن دون علمنا ونحن مهددون في كل يوم بانقطاع مياه النيل عنا ؟؟ ماذا تفيدنا تلك الاسماء ونحن مهددون في كل لحظة باعلان الاحكام العرفية علينا كلما رأت انجلترا اعلانها ؟؟ هل بلاد هذا حالها يصح ان يقال عنها انها مستقلة ام هي تابعة لغيرها تبعية حقيقية ؟؟

كلا ثم كلا ان الذين يقولون انها مستقلة بهذا التصريح انما يخادعون الناس وأنفسهم. وكنت احب من صميم فؤادي ان اشاركهم في هذا الفهم لو كانت

طبيعة الاشياء تساعد عليه ولكن الحقيقة الواضحة ضده . بل ضد التصريحات الرسمية نفسها . فقد ورد في الكتاب الابيض ان الذي الغي هو لفظ الحماية فقط حيث ورد في الوثيقة نمرة ٤ ما نصه :

« ان الحجة الرئيسية التي يدلى بها للاصرار على لفظة الحماية هي قيمتها ونفعها فيما يتعلق بالمفاوضات مع الدول الاجنبية وبغض النظر عن هذه الحجة فان اللفظ مدلوله ضئيل . يضاف الى ذلك انه يدل على حالة يذهب المصريون في بعضها الى اقصى حد »

وورد في الوثيقة نفسها قوله :

« اني ارى اللحظة الحالية مناسبة لاتباع حكومة جلالته خطة قوية من شأنها ان تقدم برنامجاً انشائياً لاولئك المصريين الذين لا يزهدون في التعاون معنا »

وقوله بعد ذلك :

« ان كل اتفاق موقع عليه لا يكون عملياً الا اذا كانت حكومة جلالة الملك مستعدة ان تمنح مصر درجة من الاستقلال اعلى مما هو واضح انها ميالة الى منحه »

وكذلك قوله بعد هذا في الوثيقة عينها :

«وتصريح حكومة جلالة الملك للسلطان بمثابة اعلان مبدأ منرو بريطاني على مصر وبمقتضى هذا التصريح لا تستطيع اية دولة اجنبية ان تهتم بمسألة اي لفظ نرى ان نستخدمه لنحدد علاقتنا مع مصر »

فكل هذه النصوص وغيرها مما اشتملت عليه الوثائق التي احتواها الكتاب الابيض لا تدع مجالا للشك في انه ليس هناك الغاء الا للفظ الحماية ولا اعتراف الا باستقلال اسمي غير حقيقي

ولقد جاءت التصريحات الرسمية التي فاه بها رجال السياسة الانجليزية والتي روتها جرائدهم مؤيدة لهذا المعنى كل التأييد . ولكن قوماً منا ما زالوا

يتبجحون بأن هذا التصريح اتى بالاستقلال النظري ولم يبق الا الاستقلال الفعلي ! ولا ادري ماذا يريدون بالاستقلال النظري بعد ان يكون الاحتفاظ بتلك الضمانات معلماً في عنق هذا الاستقلال ! انهم يقولون ان فيه مزايا غير التي بينتها وهي

(١) ان يكون للامة مجلس نواب

(٢) ان الغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال يجعل للمفاوض المصري نقطة يرتكز عليها في المفاوضات

(٣) ان تكون مصر ممثلة في الخارج بنواب عنها وأن تكون الدول الاجنبية ممثلة لديها ايضاً

(٤) ان تكون مصر مملكة وحاكمها ملكا

(٥) الغاء الاحكام العرفية

على ان مسألة مجلس النواب لم ترد فيهذا التصريح ولا تنتج عنه ولكنها واردة في كتاب تبليغه الى عظمة السلطان . ومهما يكن من امرها فان هذه المزية كغيرها لا يمكن ان تعتبر حقاً ممنوحاً بل مزية مهددة في كل وقت بوجود عساكر الاحتلال في مصر . ويكفي في الحرمان منها كلمة من قائد بريطاني يعلن بها الاحكام العرفية . بهذه الكلمة ينحل البرلمان وتقفل وزارة الخارجية والسفارات ولا يهم بعد ذلك وجود تلك الاسماء والالقاب. والمزايا المهددة التي ليست محمية بعهد واستمرار التمتع بها معلق بارادة الغير لا تعد شيئاً خصوصاً اذا كان يقابلها الحرمان من التمتع بحقوق ثابتة كحرمان مصر من ولي الامر في المسائل المحتفظ بها

اما نقطة الارتكاز في المفاوضات فهو تمويه ومغالطة لان هذا التصريح اشتمل التنصيص على ان المفاوضات تكون حرة بين الطرفين وحينئذ لا يمكن المفاوض المصري ان يتمسك بالغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال كما لا يتأتى للمفاوض الانجليزي ان يتمسك بتلك التحفظات

اما التمثيل فسواء ابان لنا في الخارج ام للدول عندنا فليس فيه كبير فائدة لنا مادام ليس في امكاننا ان نتعاقد مع الدول من غير رضاء انجلترا او على الاقل استشارتها مما هو داخل تحت التحفظ الثاني

قالوا ان التصريح غير منقسم فاما ان يؤخذ كله (ناقته وحذاؤه) واما ان يترك كله وبما اننا قبلنا البعض فقد يحتم قبول الباقي . ولكننا لا نوافق على هذا التأويل لا نعده الا خداعاً لان الملك هو الذي اعلن ان يتلقب بلقب ملك مصر والامة تلقت هذا التلقيب بالارتياح (هتاف فليحي جلالة الملك — فليحي الملك مع الشعب) وقد صرح اللورد اللنبي بان امر مجلس النواب الشأن فيه للملك والامة. وما ورد هذا في التصريح حتى يكون جزءا منه ولا يمكن ان يكون جزءا لان هذا من الحقوق الطبيعية للامم ولا يمكن المعارضة فيه الا بالقوة القاهرة فدخول الامة في الانتخابات لتأليف مجلس النواب ان هو الا استعمال حق طبيعي لا تمتع بمنحه من اجنبي

وليس هذا من نتائج الاستقلال الطبيعية بل قد يتفق مع الحماية كما هو الحال في كثير من المستعمرات خصوصاً الانجليزية لان التبعية لا تمنع من استعمال هذا الحق كما كان الحال في مصر قبل الاحتلال وهي تابعة للدولة التركية

على انه اذا كان عدم الانقسام صحيحاً وكان قبول المصريين له لا زما فما دام انه هو مشروع كيرزن بذاته الذي اجمعت الامة بما فيها انصار هذا التصريح على رفضه فلا ينافي للامة ان تقبله لا صراحة ولا ضمناً . والسكوت عنه يعتبر رضاء ضمنياً به . فالذين يحاولون ان يترضوا الامة عنه بطريقة او اخرى انما يحاولون خداعها او اكراهها . ولا تقبل الامة ان تنخدع ولا يصح لها ان تخضع لهذا الاكراه وتضيع السلاح الوحيد الذي في يدها وهو سلاح الحق

الاشخاص الذين قبلوا التصريح

ان الذي قبل هذا التصريح وتعهد للحكومة الانجليزية بتنفيذه هو كل من ثروت باشا وصدقي باشا . وليس بصحيح ما زعماهما وانصارهما من انهما وصلا بحسن سياستهما وسعة حيلتهما وبلاغة حجتهما في الحصول على المزايا التي اشتمل عليها . لان الحكومة الانجليزية هي التي اعدته وذلك واضح كل الوضوح من الكتاب الابيض فانه صريح في ان المستشارين الانجليز هنا اشاروا به لكي يتمكنوا من وجود من يقبل من المصريين معاونتهم على مبدئه ويؤيدهم في ذلك اللورد اللنبي (راجع وثيقة نمرة ٢ حيث ورد فيها ما نصه :

« ارى ان اللحظة الحالية مناسبة لاتباع حكومة جلالته خطة قوية من شأنها ان تقدم برنامجاً انشائياً لاولئك المصريين الذين لا يزهدون في التعاون معنا »

ثم ورد فيها ما نصه :

« فهل انت مستعد ان تطلق لي يدي اذا رأيت الآونة قد سنحت لان ابلغ السلطان ان حكومة جلالة الملك مستعدة ان تنفذ حسب ما تقتضيه الظروف الاقتراحات الرئيسية الواردة في المشروع الذي تضمنه مشروع المعاهدة وان تعده بهذه الاقتراحات كبرنامج لوزارة جديدة أو للحاضرة اذا ظلت في مناصبها »

وليلاحظ جيداً ان هذه النصوص واردة في وثائق تاريخها ٦ ديسمبر سنة ١٩٢١ أي قبل استعفاء وزارة عدلي . اما شروط ثروت فانها لم تحصل الا في ١٢ ديسمبر وقدمها ثروت بصفة برنامج يتضمن وعوداً لا بصفة شروط يجب تحققها قبل تولي الوزارة أو بعد توليها فعلا وهي الوعد بانهاء الحماية والاعتراف بمصر كدولة ذات سيادة وباعادة النظام العادي لكي يسمح بمنح دستور للبلاد واعادة وزارة الخارجية كما كانت قبل الحرب . ويؤيد هذا

ما ورد في الوثيقة التاسعة من ان ثروت يرجو ان تجد حكومة جلالة الملك طريقة لالغاء الحماية في المستقبل القريب وان كان لا ينتظر ان تفعل هذا حالا . ومن اعتبار قبول ثروت لتنفيذ ذلك التصريح شجاعة ! !

وورد في الوثيقة ٢٣ بعد بيان اسماء وزارة ثروت ما نصه :

« وقد تعهد الساسة المذكورون ان يشتركوا في الوزارة برياسة ثروت على اساس مشروع كتابي الى السلطان »

وورد في هذه الوثيقة ما نصه :

« على ان الفقرة العاشرة من مشروع كتابي تتضمن كما ستلاحظون منحة فيما يتعلق بالحماية وهـذا اكثر مما ذهب اليه ثروت في الاصل كما هو مذكور في الفقرة الاولى من تلغرافي الثاني المؤرخ ٢ ديسمبر »

من مجموع ما تقدم يتبين ان ثروت وصدقي لم يكونا بالنسبة الى تصريح ٢٨ فبراير من السياسيين النزيهين الذين سعوا بحسن سياستهم و بلاغة حكمتهم وسعة حيلتهم لان يحصلوا لبلادهم مزايا وفوائد كان الانجليز يضنون بها عليها لولا هذه الحكمة وهذه الحيل الواسعة والدهاء النادر ! ! ولكنهما شخصان وجدت فيهما الحكومة الانجليزية اداة صالحة لتنفيذ مشروع نفرت البلاد كلها منه واحتجت باجمعها عليه ولم يجرؤ واحد منها على امضائه وتأييده . اما هما فخرقا اجماع الامة وقبلا ان يكونا هذه الاداة في يد الانجليز يتصرفون بها في الامة كيف يشاءون ولهذا اعتبر اللورد اللنبي عملهما شجاعة

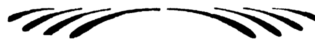
ولكننا نحن الوطنيين لا نعتبره الا خيانة كبرى للبلاد . وأية خيانة اكبر وأشنع من ان يتفق رجلان من الامة مع خصومها على ان ينفذا فيها سياستهم المضرة بها كل الضرر ؟ وأية خيانة اعظم من انهما يتظاهران بعدم قبول مشروع كيرزن ثم هما يمضيان وثيقة قبل توليهما الوزارة بأربعين يوماً يتعهدان فيها بتنفيذ معظم مقترحاته ان لم يكن جميعها بعد ان رفضته الامة رفضاً باتاً وأجمعت على مقاطعة الانجليز بسببه وأنتم ادرى بوسائل التضليل

والتغرير والارهاب التي استعملاها لحمل الامة على قبول ذلك التصريح وتلك الوسائل التي فهمتموها حق فهمها وأدركتم مصدرها وغايتها فلم يكن منكم الا ان كافأتم هذين الرجلين بابعادهما عن مكان ثقتكم ومحل اعتمادكم بل جعلتم هذا جزاء كل من لف لفهما. ونحا نحوهما. فكان جزاؤكم عادلا وعملكم مشكوراً

ومن الغريب انهم يتجاهلون السر في هذا الابعاد وينسبون السبب فيه الى التهديد والارهاب ولكن الامة كلها شاهدة عليهم بأنهم كاذبون وأن السبب فيه لم يكن الا انهم اخلفوا عهد الامة وأخلوا بأماناتها فطردتهم من حظيرتها وأبعدتهم عن ثقتها . وسوف يكون هذا صنيعها مع جميع المجرمين

وليعلم هؤلاء وأمثالهم انه ما دامت الخصومة قائمة بيننا وبين الانجليز فلا يمكنهم ان يجمعوا بين خدمة السياسة الانجليزية وثقة الامة مهما خطبوا . مهما كذبوا . مهما سبوا

وبعد ان اتم معاليه خطبته ضجت تلك الجماهير العديدة بالهتاف لمعاليه والدعاء له ضجيجاً بلغ عنان السماء





معالي الرئيس الجليل سعد باشا زغلول يلقي خطاباً في بيت الامة قبل نفيه الأخير

تهاني الشعراء بمقدم معاليه

من المنفى الاخير

— ١ —

يا سعد انك كعبة الآمال

« لعلي محمد رسلان »

يا سعد انك كعبة الآمال   وزعيم مصر ورمز الاستقلال
يا سعد اشرفت فانجاب الاسى   عن قلب مصر وزال كل ضلال
يا سعد ان ثمار غرسك اينعت   وكذا تكون زعامة الابطال
علمتنا كيف السبيل الى العلا   ونفعتنا بجهادك المتوالي
فبكم تفاخر يا زعيم ديارنا   وبكم سنرفع صرح الاستقلال

— ٢ —

تحية العودة

« لمحمد فريد »

بشير الهنا والعلا والفلاح   بمقدم سعد الى مصر لاح
وأثمر الارض المنى يانعاً   وأشرق بالفوز ضوء الصباح
فياعين كفكفي غرب الدموع   ويا قلب تم لك الانشراح
وان كنت تشكو ألم الفراق   وتشكو الهوى والجوى لاجناح

فقد عاد سعد فتى العصر يعدو ... بمصر مراقي العلا والنجاح
فدى مصر بالروح لما انثنى ... سواه طروبا بمال وراح
خـذ واحذركم من عدوكم ... اني راجياً عفوكم والسماح
بدعوى الوفاق يريد الشقاق ... ونفث السموم ودمى الجراح
ألم ترهم يوم نفي الرئيس ... علا منهم بالهتـاف الصياح
ومن يدخل الـكفر في قلبه ... تنكب عمداً طريق الصلاح
أيا مصر فليحي سعد لرفـ ... ـع لوائك فوق الربى والبطاح

— ٣ —

سرور لا يماثله سرور

« لمحمد احمد العريان »

سرور لا يمـاثله سرور ... يجيش بصدرنا انى نسير
ولحن البشر في الافواه يجري ... تردده البـلابل والطيور
وكل الناس في فرح بمصر ... اذا ما جاء بالنبأ البشير
نفوك ليقتلوا شعباً فتياً ... يقود زمامه ليث هصور
فأخفق سعيهم لمـا رأونا ... اذا ما غاب قائدنا نثور
لئن منعوا حفاوتنا بسعد ... ففي الاحشاء اعلام ونور

— ٤ —

أشرق بيمنك في سماء علاكا

« لشاعر مجيد »

أشرق بيمنك في سماء علاكا فقد اصطفاك الشعب دون سواك
أقبل وقبل ثغر مصر فطالما بكت العيون وأنت في منفاكا
عد أيها الليث الهصور معززاً فالسهم مرتد إلى أعداكا
ارأيت يوماً مثل يومك حافلا ألفيت للأعداء فيه عصاك
فاذا بها تسعى أمام عيونهم وسحرتهم لكن بسحر نداكا
لك معجزات في الجهاد عظيمة ولو انهم بك اشركوا اشراكا
يا سعد يوم لقاك يوم فخارنا فليصعقوا كمداً بيوم لقاكا
واهنأ بمصر فان حبك كامن بفؤادها وهناؤها بهناكا

— ٥ —

اليوم عيد للبلاد تعالى

« لمحمود فهمي محمود »

أهلا بسعد زارنا إجلالا حقاً ننال بسعيه استقلالا
أهلا به من قائد حاز الولا ية تستمد من الاله تعالى
دام الزعيم لمصرنا وفيها وبصحبه زاد الوئام منالا

— ٦ —

سعد أبونا كلنا

« لحضرة لبيب محمد ابو الفضل »

سعد ابونا كلنا ورئيسنا وامامنا
نادى بحل قيودنا وابان للشعب السنن
يا سعد انت كبيرنا فاعمل لرفع لوائنا
وخروجنا من سجننا حتى نعيش بلا محن
هذا ابو الهول الرزن يدعوك يا سعد الأمين
فك القيود عن السجين يا سعد انت لك المنن
فلتحي ياسعد السداد ولتحي ياسعد الرشاد
ولتحي افراح البلاد وليحي سعدمد الزمن

— ٧ —

تحية الرئيس

« لحليم مخائيل اسعد »

جمع الصفوف بخيره فاقت عقول ذوي الفكر
فتعجبوا وتقولوا لاشك انك مقتدر
كيف السبيل وسعدهم بعد احتجاب قد بدر
سحر العقول بيانه فالكل طوع إن امر
سطعت شمسه فاختفى عدلي وحزبهمو استتر
وكذا إذا ليث بدا لا يستوي ذئب مكر

— ٨ —

اليوم يا مصر افرحي

« لصمويل اسكندر »

اليوم نرفع للسماء اصواتنا ونقول يحيا سعد رمز حياتنا
سعد الذي ضحى الحياة لأجلنا اليوم عاد فمرحباً بزعيمنا

***

اليوم يامصر افرحي فلقد حوى من عزهم حب المناصب والهوى
والآن اجمعهم بأسفل مستوى وزعيمهم بل كلهم في منزوى

***

يا سعد يرعاك العلي بروحه وكذا يشملك المليك بعطفه
والشعب أيضاً يكتنفك بحبه لتقده يا زغلول لاستقلاله

— ٩ —

السعد اقبل

« للشيخ احمد سليمان »

السعد اقبل قف بنا يا شادي شمر فحي سلالة الأمجاد
هم اسسوا مجدا يدوم إلى المدى مرحى بشهم حل في ذا الوادي
مرحى بشهم قام يطلب حقنا من امة عرفت بكل عناد
زغلول انت امامنا وملاذنا بل نورنا المحفوظ في الاكباد
علمتنا كيف النهوض الى العلا حتى رقيت بنا الى الاطواد

اقبل فأنت رئيسنا بالرغم من ... جمع الأعادي القائم الحساد
يا سعد اقبل فالقلوب مريضة ... حتى يتم لها الشفاء البادي
نادت ليحيي سعدنا وامامنا ... من آمنا في موقف الآحاد
إن الجماعة اسسوا برنامجاً ... تسري عليه جنود الاستعباد
خابت مساعي جمعهم ورجالهم ... وتأخروا بتقهقر للباد
هذا نصيب من ارتضوا ان يخدعوا ... أبناء مصر فالعباد تنادي
يا سعد أقبل فالجموع تجمعت ... وتهيأت للبرلمان تنادي
انت الزعيم وكلنا نرضى به ... حتي يتم مرادنا في الوادي

— ١٠ —

لا زال بدرك طالعاً

« للشيخ عبد الرحمن يوسف جلال »

ياسعد يا ابن الأكرمين أصولا ... اكرم بمقدمك السعيد وصولا
هذه القلوب تزينت لقدومكم ... وكفى بذلك الابتهاج دليلا
لو كنت تكشف عن شفاف قلوبنا ... لرأيت شخصك بالفؤاد نزيلا
ولكنت تبصر فوقها آي الثنا ... تتلى لمدحك بكرة وأصيلا
يا سعد تلك مكانة عزت على ... غير الرئيس تناولا وحصولا
فاهنأ بها لا زال بدرك طالعاً ... وازداد نجم الخافقين أفولا

— ١١ —

أبعدوك عن البلاد

« للشيخ احمد حسن راضي »

قد ابعدوك عن البلاد بقوة ... ونسوا بأنك في القلوب نزيل
خابت مساعيهم وطاشت سهامهم ... بئست مزاعمهم وهاك دليل
سر في طريق المجد انك مرسل ... لخلاص مصر ونيلها المعسول
واتم بناء شيدته نفوسنا ... ودم الضحايا بالدليل كفيل

— ١٢ —

على الرحب يا زعيم البلاد

« لعفيفي افندي محمد عبد الفتاح »

وافد النيل مرحباً وسلاما ... طالما دمت للنجاح وساما
يامليك القلوب حل على الرحـ ... ـب فان البلاد عانت غراما
غبت يا سعد فالنهار ظلاما ... وبنو مصر في البلاد يتامى
غبت عنا ولم تغب لك روح ... تستحث الشعور والافهاما
غبت كالشمس حين يحجبها السـ ... ـحب ولم تلبث أن قشعت الغماما
كوكب الشرق لا عراك افول ... دمت في هالة العلا بساما
أمنتك النفوس في حق مصر ... فتبعت الوفا وصنت الزماما
زدت من رفعة الكنانة مجداً ... زادك الله رفعة ومقاماً
ومنحت البلاد فخراً عريقاً ... عزجداً أن يشتهى ويراما

— ١٣ —

حي الرئيس

« لحضرة محمد افندي خطاب »

حي الرئيس تحيـة الرحمن	باسم الكنانة مركز العمران
واهتف له من كل قلبك انه	رب الزعامة مصـدر العرفان
يا مصر جاء زعيم نهضتنـا الى	سبل الجهاد بعزمه المتفـاني
يا سـعد لم نرهبك شدة بأسهم	صارحتهم«روحي فدى الاوطان
اخلصت للنيـل العزيز فأسوة	يا عاملين لمصر والسـودان
نقش اسمك المحبوب بين قلوبنا	بحروفه بمثابة الشريان
(السين)سيف الله و(العين)اعتلى	هام العـدو بقوة الايمان

— ١٤ —

سعد السعود

« لحضرة علي افندي اليوسفي »

شرفت يا سعد السعود الفاهرة	وحللت منا في العيون الناظرة
سر يا رئيس الوفد بين مواكب	ترعاك عين للاله ساهرة
ازعيم مصر ان شعبك مخلص	فانظر تجد بين الجموع السائرة
فتيات مصر الناهضات حملن اء	لام المسرة و انتظرن« الباخرة»
لما تجـلى رمز مصر تهللت	فرحاً به كل الوجوه الناضرة

— ١٥ —

عم السرور

« لحضرة محمد موسى المنفلوطي »

عم السرور جميع القطر وانتشرا ... لما ضيا سعد في افقه ظهرا
والنيل صفق والامواج قد رقصت ... والطير يشدو على الاغصان مبتكرا
لله يوم تبدى فيه موكبه ... يمشي الهوينا لجيش عاد منتصرا
وحبذا النصر في عدن وفي سيشل ... وصخرة ابن زياد تحفظ الاثرا
واكس ليبان ورويات لكم شهدت ... حسن البلاء بعزم يطلب الصدرا

— ١٦ —

زعيم الامة

« للشيخ مصطفى العبلاوي »

الا أهلا بمن غابوا سنينا ... وعادوا للبلاد مظفرينا
وعادوا للبلاد بكل سعد ... ويمن رغم أنف الحاسدينا
أسعد في غيابك كم ذئاب ... عوت وبعوض ماترك الطنينا
وكم عادوا وكم قذفوا وذموا ... بأقوال تشين القائلينا
وظنوا عين سعد لن تراهم ... وظنوا الليث لا يأتي العرينا
وفي أيام نفيك قام حزب ... من الاغرار ماراعوا اليمينا
«سياستهم» تريد الشر فينا ... ولكنا بالحقيقة عارفينا

— ١٧ —

عيد سعيد

« لحضرة حسن افندي شاكر »

الله أكبر يوم عودك عيد — عيد ولكن للبلاد سعيد
شرفنا زعيم النيل إنك للعلا — رمز والمجد القديم معيد
مصر وما مصر سوى دار الهوى — في الأرض يحيا شعبها ويسود
كم أسعدت من ضل عن أوطانه — وأتى لها في الذل وهو طريد
لبست لعودك حلة من سندس — لزعر فيها باسم والعود
لم تنس يوم خرجت منها عنوة — وعليك من شرف الوفد جديد
يا سعد بلغت السلامة راحياً — فاعمل فهذا يومك المشهود

— ١٨ —

بنيت للشعب صرحا

« لحضرة عبد الحميد افندي فتح الباب »

بنيت للشعب صرحاً من امانيه — فعزك الشرف قاصيه ودانيه
وكل فرد يصافيكم مودته — على الجهاد ويهديكم تهانيه
إن السرور الذي عم البلاد بكي — يحير خصم وقلبي سابح فيه
واقسم النيل من فرط الحبور بان — يفيض ذا العام ندا من اعاليه
وكاد يرتد بحر الملح من فرح — عذبا لأنكم ابحرتم فيه
عامين إلا قليلا غبت معتقلا — والشعب يبكي دماً من مآقيه
وكيف ينساك في سجن النوى وهن — وانت بالروح والجسمان تفديه

— ١٩ —

قصيدة الغرابلي بك

قل لقوم في هواها ادعياء انكم ارض وزغلول سماء
انتم البغضاء عنوان الفنا وهو رمز الحب وعنوان البناء
انكم تسعون في تمزيقنا وهو للتوفق يسعى والاخاء
موسى وعيسى مسلم كلهم في النهضة الكبرى سواء
سائلوا المدفع ان شئتم فهل ميز المدفع بين الشهداء
عروة الله التي وثقتها قد كتبها الله فيها بالدماء
كل من يسعى لان يفصمها كافر بالله مقطوع الرجاء
ديننا استقلال وادينا فلا تسمعوا قول البغات الاغنياء
واشد يا شادي بذكرى اخوة علموا اهل الوفا كيف الوفاء
ناضلوا عن مصر في محنتها حين زاد الكرب واشتد البلاء
لازموا سعداً فكانوا درعه عند ما فر الجنود الجبناء
واستمروا حجة قائمة تفحم الاعداء من مر الجلاء
لو ارادوا المال والجاه اذن لاصطفاهم في البلاد الاقوياء
عرضوا انفسهم للموت في خدمة الاوطان لا للخيلاء
من صميم الشعب من دوحته درة في تاج فخر القدماء
زهرة في وفدنا ناضرة في ربض الحب يسقيها الولاء
تعرف الاخلاص في سيماهم فوقهم من نسج (توت عنخ) رداء
عزة في هيبة صامتة بزت الاعمال فيها الفصحاء

***

إيه «سينوت» قل لنا عن سيشل كيف جرعتم بها كأس الشقاء

كيف عشتم فوق صخر نائي في محبط مظلم بعيد الضياء
صف لنا الحرمان فيها إنه قيل عنها أنها صخر وماء
صف لنا اليوم الذي ودعكم فيه سعد هل توقعت اللقاء
قل لنا ما فاه زغلول به حين اجهشتم جميعاً بالبكاء
صف لنا الرقطاء لما أقلعت كيف دارت عندها الارض الفضاء
هل وجدتم قلبكم في ركبة أم شعرتم أن في الركن الهواء
رحمة الأنباء قد فارقهم والد اسقمه فرط العناء
تضحيات في هوى مصر ومن يفدي الأوطان إلا الأوفياء
إنما سعد ومن بايعه عزمة في حدها كل المضاء

— ٢٠ —

قصيدة عبد المجيد افندي بدر

اليوم عاد لمصر رمز حياتها ومجاهد الاعداء في رغباتها
فلتبد ما اخفته من زيناتها من بعد ما صبرت على اعنانها
فالسعد كوكبه عليها طالع

عاد الذي باتت عيون قبله عبرى تسح دموعها من أجله
مقروحة والنوم في أحواله كالموج بين قدوم ورحيله
لا يستقر وقد اقضى المضجع

عاد الذي عمدوا إلى تغريبه في موضع لم تسمع الدنيا به
حتى يقل رجاؤنا في أوبه لكنهم جهلوا عزائم شعبه
واليأس ليس له لدينا موضع

عاد الذي قل القنا بلسانه وبلاغ حجته وسحر بيانه
لم يدرع زرداً على أيمانه بطل إذا نزلوا إلى ميـدانه
نطعت براعته وعي المدفع
قالوا نحيبيـه وزمرته معا ونصير المعمور منهم بلفعا
ونسوم مصر العسف حتى تخضعا زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا
بشر بطول السلامة يا مربع
ومضوا به ظناً بأن بلاده ترضى المذلة والمهانة بعـده
أو انهـا ستطيق يوماً بعده وتهدم الصرح الذي قد شاده
من صخرة صماء لا تتصدع
ما راعهم إلا ظهور رجاله وتقدم الابطال من أشباله
وقفوا حيـاتهم على إنيـاله وتجـالدوا نسجاً على أنواله
لم يضعفوا أبداً ولم يتزعزعوا
حملوا أمانتـه ولم يتهيبوا أن يعدموا من أجلها أو يصلبوا
وتشددوا في الحق حتى غيبوا في السجن تسعة أشهر لم يرهبوا
سيفاً يجرده الخصوم فيلمع
وتسـابق الأمجاد من قوادكم فتسلموا في الحال رمز جهادكم
وتقـدموا للموت في أجنادكم وابتلوا في صون حق بلادكم
وبذاك فات على الخصوم المطمع
لم يغن عن اعدائنا ما دبروا كلا ولا أغنى الذين استأجروا
ولت جحافهم فلما أدبروا خلصوا نجياً مدة وتفكروا
في الخطة المثلى التي قد تنفع
فطنوا إلى البـلاد باسرها تأبي الخضوع وقتلها في اسرها
عصروا القرائح في وسائل قهرها فاستهولوا ما كان من اصوارها
أمنية كبرى وشعب مجمع

كم حاولوا أن يحملوه على الرضى بالدون فاستعصى وظل معارضا
ويقول أن هناك ليثاً رابضا أبعدموه موكلا ومفوضا
وله من المهج المكان الأرفع
ودوه إن شئتم وإلا فاعرفوا إنا سنعرف كيف نرجع من نفوا
فاستكثروا منا الكلام واسرفوا وأجابنا منـدوبهم لا تلحفوا
فزعيمكم ورفاقه لن يرجعوا
فالآن أين عميدهم حتى يرى شعباً يخف من المدائن والقرى
يلقى الزعيم وصحبه مستبشرا وإذا توانى الشعب عنه وقصرا
فامن سواه إذن يكون المهرع
يا سعد إن الشعب رغم قيوده يسعى إلى لقياك في أصفاره
علما بأنك انت رافع بنـده ولواء نهضـته وراية مجـده
وزعيم ثورته الأبي الأروع
يا سعد مصر تئن في أغلالها وقد انتقتك وانت خير رجالها
وكلت إليك السعي في استقلالها وإلى الذين اخترت من ابطالها
فادأب فأنت بحبها متمتع

— ٢١ —

يوم سعد

« لحضرة صاحب العزة يوسف بك رفعت القاضي »

ثغر الـكنـانة باسماً حياكا يا سعد ان السعد من اسماكا
محا الاسى نبأ بعثت به الى وطن وهبت له جميع قواكا
حمـل التحية بالمليك مجدداً عهد الولاء فطاش سهم عداكا

حمل البشارة بالقدوم فرحبا ... ان الجوانح والحمى مأواكا
خفقت به الاسلاك الا انها ... او نار افئـدة خفقن كذاكا
بالـكهرباء تهز لك وهـذه ... تهتز من طرب الى لقياكا
في كل دار زينـة لـكما ... وحشى حواشيها الولاء وحاكا
بالرغم منا ما اصابك في النوى ... من هول خطب نابنا وعراكا
خفض عليك فأنت عدة امة ... وعزاء شعب لا يرى الا كا
والنـاس كلهمو اب لـكنما ... لم ينجب المجد الاثيل سواكا
والنسل ينمي غير نسلك انه ... مصر الفتاة تسير تحت لواكا
آذوك في الحق المبين وما رعوا ... حماً فزدت على الاذى استمساكا
اخفوك عن مغناك قسرا عله ... يخلو فخلت مصر في مضناكا
وغدت تطوف به وتمسح ركنه ... كالبيت طاف به الحجيج هناكا

— ٢٢ —

تحية الرئيس

« للشاعر المجيد ابو المعتصم »

اهـلا بمقدمك العلي منيفاً ... بستقبل التمجيد والتشريفا
يعقوب رد عليه في ركن المنى ... من « يوسف » ثوب الشفاء طريفا
ومشى الحواريون في اثنائه ... رهطاً يبث الحب والتـأليفا
وتخـايلت انصار بدار صحبه ... تبني الشجاعة في سراه صفوفا
عجباً اتنسينـا مباهج سـاعة ... حولين من بؤس الممه عنيفا
كنا نعد لك الشـكاوى جمة ... حملن من الم الشـقاء صنوفا
فكأنما لم يبك صب جيرة ... بانوا وكان بحبهم مشـغوفا

وكأنه لم يذرف الدمع الذي قد راح فيه فؤاده مذروفا
وكأن نجم الأفق مما راعه من سهوه لم يتخذه حليفا
غدرته كف البطش فيهم فانثنى يعري بديلهم الهموم ضيوفا
بين الرجا والشمت يحيا مرة ويموت اثناء النهار الوفا
في الله والوطن العزيز جماعة لاقوا العذاب المر والتعنيفا
بعثتهم يوم الجهاد حمية عرفوا بها لا تعرف التسويفا
انفوا بأن يطأ الغير حماهم متخايلا وهم الاعز انوفا
ويبث في كل المواطن كيده ويسوم خسفاً اهلها وحتوفا
فتسابقوا اسراً اليه غواضيا ومشى ابو الاشبال قبل عزوفا
لم يرهبوا عند الدمار وقيرة لمحوا الطريق بها لهم محفوفا
رخصت نفوسهم واقبلوا عن رضا وطناً رضوه المغنم المخلوفا
قدكان يوم النصر — لولا عصبة خرجت — اعز على الزمان منيفا
فتنت ببرق الغاصبين وانه برق يتابعه الظلام مخيفا
قالوا لهم — ان البلاد بلادكم والشعب لم يك قبلكم معروفا
انتم بنو شرفائها من اعصر والنيل لولاكم غدا مشروفا
ما الشعب الا طائعاً او تابعاً فتقسموه خادماً ووصيفا
وتقسموا ارض الكنانة انها لكم هنيئاً حاضراً او ريفا
فتعجلوا الشعب الطموح بضربة من بعدها يغدو الجموح الوفا
ولكم علينا النصر انا امة تولي المطيع النصر والمعروفا
فتهللوا كالطفل اوعد لعبة ان كلفوه فأحسن التكليفا
وأروه في الافق الهلال سفينة تغدو له اذ تيقن التجديفا
ياغاصباً صدع الخوارج منفذاً في سور وحدتنا له مكشوفا
فانقض منه على الصفوف كقشعم سغب اصاب طعامه ملهوفا
هذي عيونهم نظرت لنا بها شزراً فهل احد بهن اخيفا

بل تلك ايديهم بطشت بها ولم ... ترحم فهل راح امرؤ مرجوفا
ابد على صدر الشباب رصاصها ... كتب المفاخر والشقاء حروفا
وبكل موطن غربة ومفازة ... مجهولة قد طوحت غطريفا
شيخ ضعيف الجسم لولا صحة الا ... يمان لم يحمل هناك صروفا
وفتى يعاني غير داء بلاده ... داء بأعماق الفؤاد اليفا
ما كان ازكاها وجوهاً عفرت ... ودماً اريق على التراب شريفا
ستكون تربته الخيبة منبتاً ... حراً يرف العز فيه رفيفا
وأعز من تلك المنازل حينما ... امست كوا كبنا بهن عكوفا
قل كان انكرها الزمان وحينما ... حلوا بها زادت بهم تعريفا
ما كانت الدنيا لتعرف سيشلا ... لو لم تكن يوماً لسعد مضيفا
يا سعد درك امة موكورة ... كادت تسف الى الحضيض سفوفا
لعبوا بها لعباً جريئاً لم يفت ... في العين دمعاً لم يكن منزوفا
لعب أثار بكل دار نكبة ... وبكل قلب حرقة ووجيفا
هل للسفينة اسلمت زمامها ... للعاصفات وقد زففن زفيفا
في حين قد عميت على ركابها ... سبل النجاة وما وجدن عريفا
فأضلت المرسى بأزرق فاغر ... فاه كتنين يلوح ممزوفا
حسبوا نوى سعد اماناً فارتدوا ... لشرورهم جنح الظلام سقوفا
كالذئب تخفيه الليالي عائثاً ... ويبيته ضوء التمام عفيفا
امنوا قساوة ضيغم كم هز من ... نظراته قلب الخئون وخيفا
ونسوا بأنك حاضر ما بيننا ... بجلائل باتت عليك وقوفا
شأن العظيم وحب سعد سيرة ... عظم بشيد به العدو انوفا
قد سار مسرى الشمس في كل الورى ... ما ان يحد ضياؤها موصوفا
وكفى بني مصر فخاراً ذلك الا ... سم الدوي يزيدها تشريفا
(سعد) وهل لذ المسامع كاسمه ... نغم يشنف سمعنا تشنيفا

(سعد)وهل هام الفؤاد بغيره حباً وراح حولهـا مشغوفا
(سعد)هو الامل الذي في ضوئه نسري ونخترق الظلام كثيفا
(سعد) هو النار المقدسة التي قد ثقفت معوجنـا تثقيفا
(سعد) هو الروح الذي نابنا خطب يلطف وقعـه تلطيفا
(سعد)وما ادراكه شمس اذا طلعت توارى الخائنون كسوفا
انا لنـذكره فينشط خامل ويهب بالعبء الثقيل خفيفا
وبذكره نلقى الدنا ولو انها كانت رماحاً كلها وسيوفا

— ٢٣ —

ليهنئك منزل فوق الثريا

« لحضرة اسماعيل افندي داود »

مقاماً فيـه تغبطك الأنام ويشـدو عند ذكراه الحمام
حللت قلوبنـا فنطقت فيها سواء فيك بعـد او مقام
عهدتك بيننا قمراً منيراً ولمـا عدوت عادتك التمام
اننا كلنا جنودك عنـا نضيء قلوبنا منك ابتسـام
لتزداد ذي فتناً وفتـكا فان زادوا أثما بك الاعتصام
فيقضوا بالفراق لسـانا فانا على رغم الفراق بنا انضمام
قدمت مع السلامة في جلال يتيـه به فتانا والغـلام
فامـلا بالذي احيا الوفا وكان لهم بطلعته وسـام
فانك (سعدها) في كل وقت وحجبها إذا أشتد الحسـام
وإنك كاشف الغمات عنها وإنك من به حفظ الذمام

— ٢٤ —

يا سعد سر بالنيل نحو علائه

« لحضرة محمد لبيب السباعي »

من لي بحسان يقول لا كتبا   من لي بوابل للقباني صبا
إذا آب سعد بعد ما نفي   حتى اقول اليوم فيه مرحباً
فخر البلاد وشيخها المقدام

انت الوكيل وانت اكرم مؤتمن   فاحفظ لناحق الحياة ومن ومن
عرض البلاد بلا يكون جهن   قالوا وقالوا إن سعد وهن
كذب وزور هذه الاحلام

يا سعد سر بالنيل نحو علائه   فاليوم يوم فخاره وهنائه
وغدوت قبلته وكل رجائه   برجوك مرة قد صرت بدر سمائه
فاحلم لتلك ايها الضرغام

من بعد عودك نيل مصر قد غدا   يتلو مع الشعب النشيد مرددا
ياسعد انت قذى لأبصار العدا   انت الرئيس انت انت الامجدا
ابقاك ربك سيفنا الضرغام

حاش لنهر النيل ان يك غائرا   مادام صوتك داويا بين الوري
فتلحي بالحق العظيم مجاهرا   ولتحي في هذا الجهاد منابرا
وصفة الاوطان فهي حسام

حرم الرئيس تحية وسلام   عيشي لمصر وسعدك المقدام
قولي له ذل الحياة حرام   فاعمل لمجدك انه اعلام
انت الأمام وكل مصر امام

ما كان موسى إذ يقول لربه   في طورسينا والفضاء يحيط به
ارني سناء النور كي اظهر به   شكا ولكن نزعة فاضت به
كي يطمئن وكي يقر مقام

— ٢٥ —

عودة سعد

« لحضرة الشيخ سالم المسلمي »

عود أعاد لقطره الآمالا   وكسى الوجوه بشاشة وجمالا
جاء البشير به لمصر فهرولت   سكان مصر نسوة ورجالا
في كل نافذة وكنة منزل   وبكل سطح تبصر استقبالا
وقفوا لسعد يرقبون مجيئه   والشوق يفعل فيهم الآمالا
يرنون من اعلا البيوت كأنهم   في عيد فطر يرقبون هلالا
حتى بدا وجه الرئيس فكبروا   لقدوم سعد والهتاف تولى
لقد كان هذا شأن مصر جميعها   إلا فريقاً للغواية مالا
إلا فريقاً عند حادث نفيه   عيدا وبالغ في العداء وغالى
إلا فريقاً كان أكبر همه   ألا يرى في غابنا الرئبا لا
قالوا محال أن يعود رئيسكم   لكم وقال الله ليس محالا
كم من مؤامرة لسعد دبروا   كانت عليهم لا عليه وبالا
ماسددوا سهما له الا غدا   في صدرهم لا صدره قتالا
ياسعد انت وكيلنا وزعيمنا   لاشرك في هذا ولا استبدالا
ماأيدتك الناس عفواً انما   قد أيدوا أنقى البلاد خلالا
وجدوا كلامك في الكلام لآلئاً   ورأوا فعالك في الفعال جمالا

أما جماهير القرى فلأنهم يجدون في اسمك للكتابة فالا
ياسعد ان الانجليز أتوا لنا بمظاهر يدعونها استقلالا
وهي الحماية عينها لكنهم قد غيروا الالوان والاشكالا
ياسعد قل لهم فان ميولهم جعلتهم بنفوسنا جهالا

— ٢٦ —

رجوع الرئيس

« لحضرة ناثان افندي اقلاديوس »

بقدوم سعد للبلاد نرحب وبغير ذلك لا نميل ونرغب
طلعت على أفق البلاد سحابة بالبشر تزهو ساعة وتغيب
أذنت بمطلع سعدنا ورئيسنا وجميع أهل القطر كانت ترقب
حل الزعيم بارض مصر مكرما والنيل يفخر بالزعيم ويطرب
رجع الزعيم مظفرا فتوقدت نار بقلب الحاسدين تنهب
والتف قوم المخلصين بركبه وإذا بقوم الظالمين تسربوا
بئست سياستهم وبئس مقالهم وبئس قوم للمصائب سببوا
كذبوا على التاريخ ظلماً واعتدوا وتكبروا ومن السفاهة اسهبوا
نصبوا الحبائل في الخفاء ودبروا ومع العدو على الرئيس تألبوا
اصل البلاء خيانة من معشر وخيانة الاوطان ذنب اصعب
أخذوا زعيم الشعب من ابنائه فغدا الفؤاد لبعده يتقلب
نزعته ايدي العاصبين تجبراً ونفته في قلب المحيط يعذب
أخذوا الرجال العاملين ودبروا كل المكائد كي يفوزوا ويطربوا
لكن حكمة أهلنا ورجالنا قد احبطتهم في المساعي فارغبوا

إن الثبات مطية لفلاحنا ... بثبات سعد في المواقف نعجب
لا زلت يا سعد البلاد أمامها ... والرأي رأيك في المواقف يطلب
سارت وفود القطر من ارجائه ... تدنو الى هذا الركاب وتقرب
حتى أتوا بيت الزعيم فهللوا ... سعد زعيم وهو عنا نائب
والآن ساعة بشرنا وسرورنا ... فلنغتنم كأس الصفاء ونشرب

— ٢٧ —

تحية الرئيس

لحضرة الاستاذ الشيخ رضوان السيد

سرور عم ليس له نظير ... بمقدم من هو القمر المنير
هو المفدى فخر مصر ... هو الحامي الذمار هو القدير
هو المختار والمحبوب سعد ... هو الشيخ الجليل هو الخبير
لقد غز الاولى حجبوك عنا ... زماناً . ان جيشهم كبير
وما علموا بأن الحق يعلو ... وان الله مطلع بصير
ارادوا ان تعيش بلا ضمير ... وان تبقى كما بقي الاسير
رفضت وما حسبت لهم حساباً ... فسجل انك البطل القدير
نفوك فأصبحت ما هي جناناً ... بها شمس الفضائل والبدور
نفوك ليبصروا ليناً وضعفاً ... فكان امامهم اسد مرير
نفوك ليوهنوا قلباً قوياً ... لقد فشلوا فقلبك لا يخور
ونفسك لا تحركها خطوب ... وعزمك لا تزعزعه شرور
نفوك ليبلغوا منا مراراً ... ونصبح فوق رغبتهم نسير
لقد فشلوا فما وهنت نفوس ... ولا والله مات لنا شعور

ولا عما رسمت لنا عدلنا ... ولا جبن الكبير ولا الصغير
قدمت فسريت عنا هموم ... وحاقت بالسماسرة الشرور
وشوا بك عند رب التاج حقداً ... وأهل الحقد ليس لهم نصير
لقد باءوا بخسران مبين ... وحل عليهمو غضب كثير
رموك بأن قصدك ملك مصر ... وهذا منهمو كذب وزور
نعم كذب وبهتان صريح ... فملكك في الورى ملك خطير
ملكت قلوبنا فاهنأ وفاخر ... فان قلوبنا ملك كبير
ودم يا سعد ما دامت سماء ... وعش بطلا فقد حسن المصير

— ٢٨ —

مرحبا بالعائدين

لحضرة علي افندي خطاب

ياسعد بشرى بالايا ... ب ومرحباً بالعائدين
كانوا نفوك عن البلا ... د وقصدهم أن تستكين
أو لم نسلم كل ما ... فيها الى المستعمرين
لكنهم جهلوا بأنك ... مخلص فينا أمين
لاتنثني عما نريـــد ... ولا يحيد عن اليقين
جهلوا ، تناسوا ما أتوا ... في اثنين بعد الاربعين
جهلوا ، نسوا ما قد تغيـــره ... الليالى أو يكون
جهلوا وولوا عصبة ... شمتت بنفي المخلصين
جهلوا وولوا زمرة ... كانت من المستضعفين
لكنهم باؤا جميـــعاً ... بعد الخزي المبين

تسعى إلى تحرير مصـــر من ايادى الغاصبين
يا (سعد) ان النيل أقسـم أن يعيش ولن يعين
ما دمت ترعاه بعيـنك يا رئيس العاملين
يا سعد ما دمت على الزمـان دوام كل المخلصين

— ٢٩ —

كنانة الله تيهى اليوم وافتخرى

ما للبلاد قد ازدانت نواحيها ... وافتر ناجذها واخضر واديها
أأقبل السعد فاهتزت جوانبها ... أم زارها الغيث فاخضلفت امانيها
لا يهبط السعد أرضا أو يحل بها ... إلا ويكسبها خصبا ويحييها
فكيف لا أنها مصر التى هبطت ... وكيف لو أنه سعد أتى فيها
كنانة الله تيهى اليوم وافتخرى ... فقـد أتاك ابى النفس عاليها
سعد بن زغلول من سارت لمقدمه ... مصر العزيزة قاصيها ودانيها
يد العدو أصابت روح مهجتها ... لما نفتك بعيـداً عن أراضيها
كأنك الشمس سحب الظلام تحجبها ... فيرسل الله ريح الحق تبديها
كم زقت نفياً وآلاماً مبرحة ... من أجل مصر ومن جراء حبها
نصرت نصر كمال فى قضيته ... وفزت فوز فرنسا فى أمانيها
فى ذمة الله ما قاسيت من ألم ... فى حب مصر وفى استقلال واديها
لو أن مصر أرادت أن تكافئكم ... فقدمت روحها ما كان يكفيها
أمامك القبة الزرقاء زاهيـة ... تهديك ياسعد عقدا من دراريها
ومصر من مهج حرى وافئدة ... حاكت لك التاج إجلالا وتنويها
ورصعته بحبات القـلوب لـكم ... فالبسه ياسعد واخطر فى مغانيها

فأتته بالتاج ملك فوق أفئدة وأتت بالعقد شمس في معاليها
اثنان في الشرق هذا رابض يقظ وذاك عند بلاد الترك يحميها
فألفت السماء الحق روحهما فكانت المثل الأعلى لرائيها

— ٣٠ —

يا سعد انت لها

لحضرة الشيخ اسماعيل هواش

اليوم يرجع سعد بعد ما ركبت به مغاضب قوم كل مقتحم
يزيده كل منفى زاره ثقة كأنه نازل فيه على رحم
قد كان في يومه الماضي لهم عظة لو استشاروا وزيراً غير متهم
لما رمى الشعب اعداد الهوى فهوت اركانها تحت سيل النهضة العرم
الآن تفخر مصر بعد ما رجعت برمز نهضتها مشكورة الهمم
ارضت بطهر ضحاياها مطالبها لم تستجر كسواها عصبة الامم
يستقبل الشعب سعداً وهو مبتسم في محنة تركته غير مبتسم
يسعى للقياه ارضاء لعاطفة من الوفاء تريه موضع النعم
جزاء لما وفى بالعهد تكرمة ولم يزل سعد اوفى الناس بالذمم
اليوم لا ينظر الشعب الكريم الى ماضي ملىء بما اضناه من عمم
عامان الا قليلا كلها نصب قد ذاق فيها ضروب الظلم والنقم
يلقى على حب سعد من اخوته فوق الذي نال من كيد محكم
ابا الشبيبة قد انجبت ناشئة تملي على الدهر عنا اصدق الكلم
ابعده لم تصلها بينكم رحم وانما هي في الاخلاق والشيم
حملتهم عهد مصر مذ نأيت فما زالت بأعينهم في خير معتصم

يغدو الشباب على افكارها حرساً ... من كل ذي همة بالرأي متسم
حسن السياسة في علم ومعرفة ... ليست كما زعموا في الشيب والهرم
اراد (ثروت) تقييد البلاد بما ... اراد من قبله (فيروز) للعجم
علا على مصر جباراً فحملها ... ما لو غدا فوق ركن الدهر لم يقم
مستكبرا ان يراها لا تطاوعه ... مشرداً من بنيها كل ذي شمم
مضيقاً كل مسعى في حمايتها ... حتى على الصامتين الفكر والعلم
يطوي صحائفها البيضاء ما كسبت ... اليه ذنباً سوى مسعى اليك نمي
ظن الخلود فأطغته فتوته ... وقد غدا عن نداء الحق في صمم
فأسقطوا يوم ظن الفوز دولته ... بالصبر والصبر في البلوى من الكرم
يا يوم سعد خذ الامثال واضحة ... عنا الى كل شعب بالعلى فهم
ودع ذكريات تناسى الدهر اولها ... او كاد ينسى بما امعن في القدم
وصف لناشئة الاجيال نهضتها ... فانها خير ما يتلى من الحكم
فكل شعب مشى في نور وحدته ... يبيت من حادثات الدهر في حرم
يا سعد انت لها يا سعد انت لها ... هذا زمام بلاد النيل فاستلم
حقق رجاء بلاد انت قائدها ... وابلغ بها غاية في المجد لم ترم
بعصر بالنيل بالدمع الذي سفحت ... عيناك عن مصر يجري جد منسجم
خذ عتوهم واعف عنهم في محبتها ... فضلا وأعرض عن الجهال واستقم

— ٣١ —

هرعت وفود القطر

للشيخ سليمان امام الابياري

لزعيم مصر الاهل والترحيب بطل الى كل القلوب حبيب
هرعت وفود القطر يوم قدومه زمرا فداع قومه ومجيب
طاروا بأجنحة البخار لقادم تفديه مصر شبابها والشيب
سعد الى كل القلوب محبب عند الجميع وشخصه المحبوب
لا حزب الا حزبه لم ينتظم في سلكه الا اغر نجيب
من كل اروع ماجد آراؤه مثل السهام اذا رمين تصيب
سعد على الاعداء سيف صارم عضب بوجه الغاصبين ضروب
اخذ السياسة عنه ابطال الورى وحوى الكياسة عالم وأديب
وأجاد عنه القول كل مفوه وروى الفصاحة كاتب وخطيب
سعد هو الامل الوحيد لامة ما زال يطلب حقها المغصوب
بز الخصوم فليس يطلب غاوه منهم شبيه العلا وضريب
انباؤه مثل النجوم ثريا تجلو الظلام الشك وهو مريب
لم يثنه عن عزمه وجهاده عتب ولا لوم ولا تغريب
قدم الكنانة بعد طول غيابه كالبدر طال عليك منه مغيب
فالثغر يضحك والعيون شواخص والكل يشفعه بك الترحيب
اسعد بسعد حل مصر يؤمه فتح ونصر عاجل وقريب
فالله يحفظه ويرفع ذكره والله يجزي سعيه ويثيب

— ٣٢ —

اقبل الي معزز الاقبال

للشيخ عبد المنعم محمد العبد

اقبل الي معزز الاقبال ... يوم السرور وساعة الاقبال
اقبل الي فدتك نفسي مثلما ... تفدي بلادي بالنفيس الغالي
وأذق فؤادك من رحيقي نهلة ... فلكم كوته حرارة الاجيال
ولكم جرى دمعي لبعدك حسرة ... فاليوم كفكفه لذيذ وصالي
خلدت ذكرك في سجل نوابغي ... ورفعت باسمك راية الاستقلال
اسعى واسمك في المدائن خالد ... وبلاها رمزوا له بالتالي
اقبل وعد لا زال بيتك كعبة ... واهنأ ودم بمهابة وكمال
ان يحملوك على الرءوس حفاوة ... فلقد حملت كتائب الآمال
ولئن نفيت عن الديار فانما ... لتعيد مجد وسيرة الابطال
ولئن جفاك من الاصاغر ثلة ... فليعمهوا من حيرة وضلال
انت الهداية للبلاد ونوركم ... نور السعادة والهدى المتلالي
انت ابن مصر ورمز مصر وانني ... مصر آتية بعزتي وجلالي
اسمو على الاقطار في ثوب العلا ... والفضل فيه لفتيتي ورجالي
ان كان فيهم من يشهد بذكره ... فلسعد تاج الفضل والاقبال
يا سعد جاهد ما استطعت فانما ... رب الجهاد مقدر الآجال
واهنأ بعودتك المبارك يومها ... وارفل بروض مسرتي وظلالي
فالمرء اكثر ما يكون هناءه ... يوماً يعود لساحة الاعمال
وانزل الى الميدان انك ربه ... يوم النزال اذ يقال نزال
واملأ بحكمتك القلوب فطالما ... تاقت اليك نفائس الاقوال
واعل المنابر تهتز بها هزة ... او ترتوي عيدانها في الحال
واقرأ علينا آية محبوبة ... بين المليك وشعبه الاشبال

— ٣٣ —

هذا الزعيم المفدى

للشاعر المجيد « الصبحي »

إن الرجال الأولى عاهدتهم ثبتوا ... رغم العواصف ما انفكوا ولا حالوا
وهكذا الليث إن حلت به نوب ... قامت لرد العدى في الجيش اشبال
تلك النفوس العوالي لا تزعزعها ... عن جادة الحق والمعقول أهوال
تستقبل الجور والتعذيب هادئة ... فالعيش في عرفها هم وأثقال
هذا الزعيم المفدى في مواقفه ... فهل له في ثبات العزم أمثال
بطل يضحي لدى الهيجا بعزم فتى ... وحزم شيخ فلا يلوي ولا يألوا
يسعى بقلب كبير للجهاد فلا ... يثني عزائمه سيف ولا مال
قاس الأمرين لم يخلد لراحته ... والحر عند اشتداد الخطب بذال
في كل واد له شأن يدل على ... أن الرجال جبلات وأعمال
إن حدثت عنه مالطه واندلس ... تركت رواياتها عدن وسيشال
كم حدث القوم عن خير يفوز به ... لو انه مال واشد حتى كمن مالوا
أو انه ارتد عن إيمانه كمن ار ... تدو وعاروا وهم للخصم أزيال
أو انه عاش خداعاً لامته ... يدعو لمشروعهم غشاً ويحتال
لكنه والمعالي نصب أعينه ... لم يترك الحق أو يأبه لما قالوا
فهو المهيب الذي لولا مهابته ... لم تبق في مصر للمصري آمال
أحيا النفوس التي خارت وعلمها ... معنى التفاني إذا ما ضاقت الحال
سعد لك الله كم حملت من محن ... وكم أولئك آلام وأوجال
حتى تكشفت الايام عن بطل ... عند الشدائد قوال وفعال
لولا الشدائد ما دلى الحيان ولا ... عادت بآي الثنا والحمد ابطال
ولا فنى فيك شعب النيل اجمعه ... كأن شخصك للتقديس تمثال
ولا استويت على عرش القلوب ولا ... زان استواءك اكبار واجلال

— ٣٤ —

عشرون شهراً

« للشيخ احمد ابو النجا »

عشرون شهراً وكل الناس في قلق ... فليهجع الناس قد ذابوا من الارق
عشرون شهرا ولم تهدأ خواطرنا ... وكل قلب يقاسي شدة الحرق
عشرون شهراً ولم تظفر بطلعتكم ... مصر فكانت من الاهوال في غسق
واليوم وافيتها فاخضر مجدبها ... فانت في ارضها كالعارض الغدق
يا طالعا من سماء الغرب طلعته ... هل تبزغ الشمس من غرب على الارض
قالوا استقلت لكم مصر فيا عجباً ... أتستقل مع التشريد والرهق
أتستقل وقد عاضت خزانتها ... حتى غدت من شديد الأزم في ربق
أتستقل وتلك الجند رابضة ... تحمي حمى ما ادعوا فيها من الطرق
أتستقل وفي السودان اصبعهم ... ومصر من غيره جسم بلا رمق
يا أمة النيل لا يحزنك ما فعلوا ... من جد نال فسيري للعلا وثقي
يا قوم هذا اوان البرلمان أتى ... فرشحوا الكفء او تناءوا عن النزق
تمسكوا بالاولى ضحوا بانفسهم ... وكل شخص إلى الخيرات مستبق
فبينكم نزعات الناس ظاهرة ... هذا شجاع وهذا بين الفرق
شتان بين الذي يسعى لصالحكم ... وبين مفتتن بالمال مرتزق

— ٣٥ —

وله ايضاً

أتذكر يا ابانا يوم قمتم   وجاء الكل بيتك باكينا
وقال دياب لا تحفل لذنبي   وسامحنا فنحن المذنبونا
ونحن الجاحدون لفضل سعد   ونحن على الحقيقة مخطئونا
ابانا لا تجاوز الذنب منا   وسامحنا نكن لك مخلصينا
وما طعن الزعيم البر حتى   رأيت دياب هذا مستهينا
زعيم الامة البر المفدى   ملكت زمامنا دنيا ودينا
رئيس الوفد انا في انتظار   لاعمال تروي الظامئينا
اتدري يا رئيس الوفد ماذا   جنته حكومة المتفننينا
قوانين بها حظر اجتماع   وأخرى ترهب المتحمسينا
وأحمال حملناها ثقال   وكل القصد ان نبقى سكونا
ولكنا برغم الانف شعب   نريد العز —او— لا فالمنونا
وهل يرضى المهانة قوم سعد   وقد اعطاهم درساً ثمينا

— ٣٦ —

قدمت لنا

لمحمد افندي فتح الباب

اعرف الجواد ام نشر الاقاحي   علينا قد تضوع في الصباح
فما هذي سوى ارواح سعد   سرت فتعطرت كل النواحي
اياديه لدى الظلماء بيض   وتغنينا عن البيض الصفاح

قدمت لنا من المنفى قدوماً يبشر بالسعادة والنجاح
ولولا حبك للوطن المفدى لما قاسيت آلام الكفاح
بقلب ليس يحفل بالمنايا عصي اللهو مناع المزاح
وهاك البرلمان اليك يدنو فناد الشعب حي على الفلاح

— ٣٧ —

عيد الشعب

لمحمد افندي فضل اسماعيل

اهلا بنور الله بين عباده وبواحد الدنيا وروح بلاده
قرت عيون الشعب يوم قدومه وتطلعت المجد فوق نجاده
وتهلل الوادي بسيد عصره حتى تمكن من صميم فؤاده
فالشعب موفور السماحة والندى وكأنه شعب على اضداده
يلقاه في جذل فكان لقاؤه من اسعد الاوقات في اعياده
خفقت لمقدمه القلوب وقبله وجفت لفرقته وطول بعاده
كم بات مهتما بمصر وأمرها حتى ليذكرها بطرف رقاده
بل كم يحمل في الوفاء مصاعباً شتى فلم يلجأ لغير سداده
حرج الزمان عليه حتى لم يدع يوماً يمر عليه دون عناده
في حر سيشل لم يخنه خيانة اعظم بهمته وباستعداده
بطل لعمرك لن تخور عزيمته مهما تراءى الدهر في اضداده
عد للكنانة سيداً لم يدخر جهداً بمصر على عظيم جهاده.
وانزل مع الحرم المصون مكرماً تتوثب العلياء حول جياده.
ثم امح ما كتب الجبان سفاهة عن مصر واطمس خطة بمداده.

— ٣٨ —

شروق بدر الدجى

للشيخ عبد الباري السيد

شروق بدر الدجى في الليل انوار ولليعلى من صفات الحر انصار
قد قام سعد لدين الحق يرفعه وقد علت اهل وادي النيل اوزار
وصار يسعى لجمع القوم فاجتمعوا وقد تفرقت الاديان والدار
والخصم باغ وأسد الغاب رابضة في كل حي بدت من جندهم نار
لله در بني سعد فما وهنوا وما استكانوا وحال القوم ادبار
قد ذللوا كل صعب في الطريق بدا وبرهنوا انهم والله احرار
تحملوا النفي والمكروه فانتصروا وأصبحوا ولهم في الكون اسرار
ولا غرابة ان السعد قائدهم اكرم بسعد لنصر الحق مسعار
يا سيداً عم وادي النيل نائله قد اشرقت بك يا زغلول انوار
احييت افئدة ذابت جوى وأسا لها لبعدك تحنان وتسعار
اضحت بطلعتك الايام باسمة والنيل يزهو وماء النهر مدرار
واليمن وافى وغصن البان مبتهج فعيد السعد له في الكل آثار
اثني عليك بما قد كان منك لنا فقد غدا لك في العلياء تذكار

— ٣٩ —

أي البطولة

لحضرة الشيخ محمد البدري

سطر كما شئت للأحفاد والأمم ... أي البطولة والأخلاص والشمم
واقرأ علينا فنون المجد قاطبة ... وانثر كعهدك در النصح والحكم
واسخر بدهر يرى في المدر راحة ... ويؤثر الحر بالأرزاء من قدم
سل عاجم العود هل الغيث من خور ... واسأله ياسعد هل اخنى على الذمم
إن غاب شخصك عن عيني مراقبه ... فانه على شفاف القلب لم يرم
قد غرر الوهم بالأقوام فانخدعوا ... شأن السراب مع الظمآن إن يشم
نفس الكبير تعاف الضيم من أنف ... والغر يرضى من الأيام باللقم
والمرء إن كانت العلياء وجهته ... يكلف الجسم مايهديه للسقم
هذا المثال إذا ما كنت متهما ... فانظر لسعد ولا ترقب وتتهم
يستسهل الصعب يزجيه بهمته ... إن المحق ملاق أي مصطدم
والحق كالليث إن حاولت مصرعه ... أغضى قليلا فان طاولت محتدم
يا أيها القادم الميمون مقدمه ... زدناك من ثقة فازدد من الهمم
لا تخشي من ضعة البيض إن صلبت ... بالنار حينا فان البيض لم تضم
هذي أزمتنا عن طيب خاطرنا ... تلقى إليك فمر ما شئت واحتكم

— ٤٠ —

قصيدة محمد افندي الحميدي

يا سعد مصر ويا أبا الأشبال | ومجدد المجد التليد العالي
مصر بورك أرضها وسماؤها | تختال بين مظاهر الاجلال
مصر بمقدمك السعيد كأنها | يا سعد حور زينت بلآلي
أو ما رأيت جمالها وجلالها | وسمعت ترديد الهتاف العالي
هذي المظاهر والقلوب جميعها | تكفيك شر مكايد الأنذال
لعب الغرور برأسهم فتضاربت | أحلامهم وتتابعت بضلال
وعدوا على بيت الرئيس ومادروا | أن الشدائد سر الاستبسال
لا النفي يمنع أن نظن قلوبنا | خفاقة بالحب والآمال
أبدا ولا التشريد يمنع عزمها | عن أن نحطم أثقل الأغلال
إن المظالم إن تطاول عهدها | لا بد مرجعها إلى الأمحال
والشعب أنى أثقلوه بجورهم | فالصمت منه برعة استهلال
(لوتس) ما كان الاياب سوى الذي | عقدت عليه خناصر الأشبال
إن أمهلوه فما تراهم سوفوا | إلا لتسقيه كؤوس زلال
والحب يفعل في القلوب فان غدت | ظمأى فباللقا إلى الأبلال
فاكبح جماح الغاصبين وكن لنا | حصناً يقينا شر الاستغلال
وانهض بمصر إلى الأمام فانها | تواقة لتنال الاستقلال

﴿ انتهى في شهر يناير سنة ١٩٢٤ ﴾

١٩٢٤ مكتبة العرب ١٣٤٢

لصاحبها

يوسف توما البستاني

بشارع الفجالة نمرة ٤٩ صندوق بوستة الفجالة نمرة ٢٩ — تليفون ٦٢٢٣

يطلب منها الكتب الآتي بيانها ويجب ان يكون العنوان واضحاً والدفع مقدماً والثمن يقبل طوابع بريد مصرية او عملة ورق من جميع الدول

قرش

٥ كتاب المواكب بالرسوم لجبران خليل جبران
١٠ « البدائع والطرائف « « «
١٠ مذكرات سفير اميركا في الاستانة
٤ رسائل من اعماق السجون لاوسكار وايلد
١٠ مذكرات المارشال هندنبرج جزءان
٣ بيضة الفرخة وهو بحث مفيد لذيذ
٤ حياة لودندرف القائد الالماني العظيم
١٥ هداية الاطفال وتربية البنين والبنات
٥٠ الجزء الحادي عشر من دائرة المعارف
٨ روح الاجتماع تعريب فتحي باشا زغلول
٢ صياد الساحة او الوحش الفرنساوي لاندرو
٨ رسبوتين الراهب المحتال تعريب داغر
٥ تاريخ غليوم الثاني امبراطور المانيا الثالث
١٢ المرشد الظريف في طالع الجنس اللطيف
٨ القوة الفكرية في المغنطيسية الحيوية
٥ معارضات قصيدة ياليل الصب للحصري
٥ الرحلة السورية في الحرب العمومية
١٢ نوادر الحرب العظمى وهي قصص واقعية
١٥ مذكرات مدام اسكويث تعريب داغر
١٠ مالك سوين الارلندي تاريخه ووصيته
٣٠ الساق على الساق في ما هو الفارياق
١ وسائل البارسي للشيخ ابراهيم البارسي
٨ أمثال الشرق والغرب وهو حكم وأمثال
٣ براءة الاقلام من طلب تمثيل الاطلال
٨ القوة الشيبية في قراءة الكونشدة
٢٠ نفثات مسجون وهو ادبي اجتماعي وطني
٢ الصعاليك وهم الذين سموا من الفقر
٢ للامتيازات الاجنبية وحقوق الاقليات في تركيا وهي المذكرة المقدمة لمؤتمر لوزان

قرش

١٠ تذكرة الكاتب لاسعد خليل داغر
٥ مجموعة خطب سعد باشا زغلول الحديثة
٢٠ ديوان الفجر الاول نظم خليل شيبوب
٣ « البدويات نظم محمد بدوي
٨ الهجو لاحد الشعراء
امبراطور فرنسوا جوزيف
حياتها وموتها
رحلة او في رمال بالصور
٥ « في سبيل الله والقيصر
٤ « ذات الخدر تأليف سعيد البستاني
١٠ مجموعة في اهم المواد والاجراءات القانونية
٢ الداء والشفاء مصريات لسليمان البستاني
٥ الطرق السهلة في تكبير الصور الشمسية
١٠ قاموس الاصطلاحات في سير الآلات
والهندسة وسكة الحديد عربي انكليزي
١٢ مصر الخطاب في اصول لغة الاعراب للبارسي
٥ نزهة الخاطر في فرس الامير عبد القادر الجزائري
٣٠ وفاء الوفاء في اخبار دار المصطفى جزآن
٥ تهذيب النفس نظم فؤاد صروف
١٥ تاريخ الماسونية من اقدم عصورها الى الآن
٢ كتاب الحال الآتي لزجال زمري
٤ مذكرة في تركيب الاجراس الكهربائية
٨ مرشد الطالب لتعلم لغة الانكليزي وعربي
٧ الالفاظ الكتابية للهمذاني
٢٠ عصر حزن البهلوان اربعة اجزاء
٥ احاديث الشباب مقالات ادبية
٣ خطرات مصدور كتاب ادبي تهذيبي
٣ تذكرة المصري المرحوم عبد الحليم المصري

من اراد ان يشتري جزءاً كبيراً من هذه الكتب يخصم له عشرين في المائة

كلمات وحكم فقيد الامة المصرية

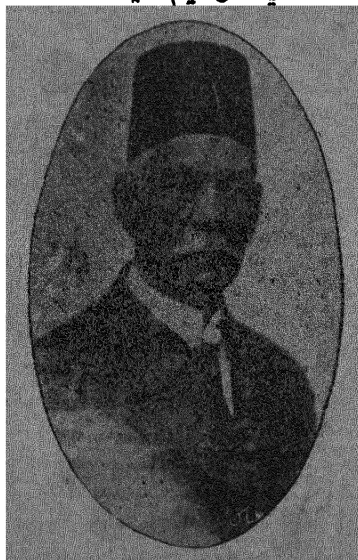
صاحب الدولة سعد باشا زغلول

في الاخلاق والوطن والسياسة والفضيلة وتفصيلات عن آخر ماقاله

في آخر أيام حياته

يعجبني الصدق في القول والاخلاص في العمل . ان تقوم المحبة بين الناس مقام القانون

سعد زغلول



الحق فوق القوه والامة فوق الحكومة

سعد زغلول

اعاهدكم عهداً لا أحيد عنه علي اني أموت في السعي الى استقلالكم فان فزت فذاك والا تركت لكم تتميم مابدأت به

سعد زغلول

كلمات وحكم فقيد الامة المصرية
صاحب الدوله سعد زغلول باشا

في الاخلاق والسياسه والوطن والفضيله
وتفصيلات عن آخر أيام حياة الفقيد

انى هنا موكل من الامه المصرية
للسعى للحصول على استقلالها وليس
لغير الامة أن تقلنى من الوكاله
وللقوة تفعل فينا ماتشاء

اختارها ووضع مقدمة لها
الكاتب الاجتماعى المعروف
﴿ محمود كامل فريد ﴾

تطلب من مكتبة النشر والتأليف التجاريه
بدرب المهابيل بمصر

حزن الامة الاليم
على فقد زعيمها الاوحد

تقوم مصر اليوم بتوديع زعيمها الذي ضحى حياته فى سبيل مجدها . وفى حريتها واستقلالها ... ومع الاسف الشديد انى اكتب وأنا لا أبصر الصحيفة لان الدموع كانت تتساقط من عينى . وكيف لا أبكى علي رجل ضحى صحته وكل عزيز لديه في سبيل وطنه .... علمت بهذا الخبر المؤلم في الساعة العاشرة والنصف مساء فما كذبت أصدق وتوجهت توا الى بيت الامة . وبينما أنا سائر في طريقي بشارع الملكى قابلت أحد زعماء الاحزاب من أعداء سعد وعند ما قابلنى سلم علي وأبلغنى الخبر وهو يبكى

وهنا علمت أن الامة بأسرها في حزن عميق على هذا الرجل العظيم . ولكن أسباب بغض جملة من أشرار الامة له لم يكن الا من عادة الحسد . لان سعد باشا ولا جدال كان حامل ثقة الامة بأجمعها . وانه لم يحمل هذه الثقة من الامة

قوة واقتدارا . لا وانما حمل ثقتها من سنة ٤ ١٩ .. ألم يكن هو الذى انتدبته الامة عنها فى الجمعية التشريعية . . ان أول من اكتشف وطنية سعد من الاجانب هو اللورد كرومر رغم انه عدو لكل وطنى مطالب بحقوق بلاده .. ألم يقل اللورد كرومر فى حفلة وداعه في خطبته المشهورة التى ألقاها يومئذ في الاوبرا الخديوية (الملكية اليوم) ما نصه

واني لا أذكر أيها السادة اسم رجل لم اشتغل معه الا من عهد قريب لكن معاشرتي القصيرة له قد علمتنى أن أحترمه احتراما عظيما واذا أجاب ظنى ولم أخطيء يكون أمام ناظر المعارف الجديد سعد زغلول باشا مستقبل عظيم في سبيل خدمة هذه البلاد ومنفعتها لانه حائز لجميع الصفات اللازمة لخدمة بلاده فهو رجل صادق كفء مستقيم مقتدر بل (هو رجل شجاع فيما هو مقتنع به) وقد احتمل الطعن والذم من كثيرين دونه بمراحل من أبناء وطنه . وهذه صفات سامية لاشك أن صاحبها يتقدم كثيرا . .

نعم صدق اللورد فيما قال عنه . ألم يكن هو الوطنى الذي قبل النفى الى مالطه ثم الى شيشل ثم جبل طارق . قبل

كل ذلك فى سبيل رفع مجد مصر . وتوصل لرفع مجدها ولكن بكل أسف لم يدم لينظر الى ما ينضج من ثمارأعماله ...

اذا بحثنا فى تاريخ الامم الشرقيةلم نجدمثل هذا الزعيم الراحل ...: ألم يكن هو الذي قامت جميع الاحزاب المطالبة باستحقاق بلادهم من نير الاستعمار فحذوا حذوه . وكانوا ترجموا أقواله . ولا يعملون الا بآرائه

نودعك اليوم يا سعد بعد أن حللت بين القلب والشغاف . نودعك وقلوبنا تبكى حزنا على فراقك . . . الوداع . . . الوداع يا سعد وفى سبيل الله أيها الراحل العظيم وانا لله وانا اليه راجعون

وانى على هذه الصفحات أقدم للامة المصرية عزائى وان كنا جميعا في حالة واحدة من مشاطرتنا الحزن عليه ... وايفاء لما على من حقوق وواجبات أقدم للجميع كلمات وحكم فقيدنا العظيم . وهى دروس جليلة تتعلم منها الامة ما هي الوطنية والسياسة والاخلاق وهى آيات بينات على صدق

وطنيته وايمانه بحب بلاده ... وان شاء الله ستجمع مراثي الشعراء والكتاب فى مؤلف على حدته

محمود كامل فريد

مصر فى ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٧



ماقاله الفقيد عن الجمعية التشريعية

نعم ان حق الجمعية فى التشريع حق ضعيف جدا كما تقولون ولهذا نحن نسترحمكم ياحضرات النظار أن لاتزيدوه بقوتكم ضعفا على ضعفه

لو كنتم مسؤولين امامنا كما تسأل الحكومات فى اوربا أمام برلماناتها لحاسبناكم على أعمالكم . ولكننا قوم ضعاف لم يقسم لنا من الحظ ماقسم للاقوام الاقوياء فكل مانستطيع أن تقوم به أمامكم هو أن نسألكم لاأن نحاسبكم

اعطونا برلمانا مثل برلمانات أوروبا يكون له الكلمة الاخيرة في كل شيء ونحن نقبل أن يكون فى يدكم من السلطة ماتشاؤون

سمعت ان جناب اللورد كتشنر غير راض عن الجمعية التشريعية ولكنى لاأعتقد ان هذا الاستياء سيدفع به الى نصح حكومته باتخاذ اجراآت غير شرعية ضدها . لان كل ماسيقدمه من الاسباب ان الجمعية لاتتفق فى الرأى أحيانا

مع الحكومة . ومثل هذا السبب لايعتبر كافيا فى نظر أحرار الانكليز الذين هم أعرف الناس بالمبادىء الدستورية وبأن الهيئة النيابية التى تدافع عن حقها وحقوق الامة التى أنابتها عنها تؤدي واجبها ويجب احترامها

واجبات الاعضاء نحو أنفسهم

أنا فى الجمعية التشريعية المترجم الامين عن شعور الشعب المصرى فى مصلحته المحضة

خطتى مع الحكومة تأييدها اذا أصابت والتفاهم معها اذا أخطأت ومع الامة البحث عن حاجاتها وتعرف رغباتها ومشاورة ذوى الرأي فيها ومع زملائي احترام آرائهم والتضامن معهم في السعى لكل مافيه خير عام

انني رجل قد وضعت تحت تصرف امتي عقلي واختبارى وبياني فان استفادت الامة من عملى فذلك مايجعلني سعيدا والا فهو واجب قد أخذته على نفسى فأنا أقوم به لاريح ضميري

إنناان لم نحافظ على الصدق والامانة فى جميع أعمالنا ضعنا وضاعت آمال الامة فينا

لاعيب علينا فى الرجوع الى الحق متى ظهر لنا . لاننا ماجئنا هنا لنداقع عن أنفسنا وأنانيتنا بل لنـدافع عن الحق وتؤيده

نعم نحن لسنا بأوصياء على الامة بل وكلاء عنها ولكننا وكلاء أمنـاء . فيجب علينا أن نؤدى لامتنا الامانة كما أخذناها منها

لايفوتنكم أن تحتجوا على كل أ .ر ترون أن فيه مخالفة للقانون مهما كان صغيرا فى نظركم فربما كان لهذا الامر الصغير علاقة فى المستقبل بأمر كبير فيتخذ سكوتكم في هذا حجة عايكم فى ذالك

لسنا هنا في مقام مصالحات وانما هى حقوق نعتقدانها لنا فيجب أن نطالب بها كما هي. وان نأخذها كذلك . أما التجزئة فخديعة يراد بها ضياع الحق بجملته

واجبات الاعضاء نحو الحكومة

الحق فوق القوة والامة فوق الحكومة

ان الحكومة ماجاءت هنا لتسألنا عن رأيها هى بل عن رأينا نحن فيجب أن نعطي لها آراءنا لا آراءها

ليس للحكومة أن تغضب كلما قلنا لها انها مخطئة. فاننا ماجئنا هنا الا لننبهها علي خطئها

تقول الحكومة اني لا اتنازل عن رأيي فلتقل كما تشاء فان قولها هذا لا يمنعنا من أن نقول لها نفذى مشروعك كما شئت وتمسكى به كما أردت فهذا حقك الذى خولك إياه القانون ولكن لا تنتظري منا أن نشترك معك في هذه المسئولية فاعملى عملك وعليك وحدك مسؤلية مافعلت

واجبات الحكومة نحو الجمعية

ان الحكومة قد حفظت لنفسها كل شيء فلتتركنا على الاقل نتمتع بابداء آرائنا ولا تغلبنا على هذه البقية الباقية لنا

نحن يا حضرات النظار لا حول لنا ولا قوة فالقوة في يدكم والحول لكم . ونحن لا نملك الا كلمة الحق ننطق بها أمامكم فهل تريدون أيضاً أن لا ننطق بكلمة الحق . ان هذا شديد جداً لا يحتمله منا أحد

ان الحكومه لم تحتكر الصواب لنفسها فلا ينبغي لها ن تستنكر منا مخالفتنا لها فى رأيها . بل ان وقوع الخلاف بينها وبيننا لازم من لوازم وجودها معنا وعرضها مشروعاتها علينا . بل انها فى حاجة الى وقوع ذلك الخلاف لانه هو الذي يكشف لها الصواب فيما يلتبس عليها وجه الصواب فيه من أعمالها ويوصلها الى الحقيقه التى تنشدها

يهاجموننا فاذا حركنا أيدينا للدفاع عن أنفسنا قالوا انكم مشاغبون ومشاكسون فياللعجب ! أيكون مكدرا للماء من يجلس بجانبه ليذود عنه من يريد تكديره ولا يكون مكدراً له من يلقي فيه التراب والاحجار

نحن قوم هادئون جدا لا تحدثنا نفوسنا بفتنة ولا

ثرثرة وقد تخالج نفوسنا في بعض الاحيان أفكار نضطر الى الافصاح عنها ببعض الشدة من حيث لا نريد بها سوءاً ولا شراً . فليس للحكومة وهى أعلم بمقاصدنا ونياتنا أن تتسرع بوصف أفكارنا بانها أفكار ثورية لان ذلك ربما يدفع بنا وبها الى أمور تكون هى أول النادمين عليها

واجبات الحكومة نحو الامة

إنا اذا احترمنا أمرا للحكومة نحترمه لانه نافع للامة لا لانه صادر من تلك القوة المسيطرة

لا يجوز للحكومة بصفتها حكومة أن تقول إما أن تقبلوا هذا القانون على علاته وانما أن تبقوا على ما أنتم عليه . لان الواجب عليها بصفتها هذه أن تسهل الصعاب التي تعترض في طريق الامة لاأن ترضى ببقائها قائمة في وجهها

لو كان ماتدعيه نظارة المعارف صحيحا من انها تخدم العلم فى البلاد لكان لديها الآن العدد الكافى من العلماء للقيام بجميع وظائف التعليم ولم تكن فى حاجة لان تجلب

من الخارج في كل عام هذا الجم الغفير من المدرسين بسبب ان العلم الصحيح لم يوجد بيننا حتى اليوم

لقد أصبح من الصعب جدا على الانسان فى هذا العصر أن يجد سبيلا الى العيش إلا اذا كان حاصلا على درجة خاصة من العلم فيجب على الحكومة أن تساعد الافراد على أن يتعلموا ليعيشوا فان لم تفعل ذلك كانت مقصرة فى النظر فى شؤون رعيتها

حكمة عن الوزارة فى الجمعية

لاقيمة لتصريحات الحكومة بيننا الا اذا أرادت بها التنازل عن حق من حقوقها أما تصريحاتها التى تريد بها أن تسلبنا حقا من حقوقنا فلا قيمة لها عندنا مطلقا

ان تصريح الحكومة بشيء يتضمن سلب حق من حقوق الجمعية هو بمثابة أمر تصدره مملكة قوية الى مملكة ضعيفة بجانبها باضافة جزء من أملاكها اليها . فكما ان تلك

المملكة لا يهمها أن تحفل بمثل ذلك الامر كذلك نحن لا نعتد بمثل هذا التصريح

ليس للحكومة مطلقا بصفة كونها حكومة أن تتداخل بوجه من الوجوه فى وضع لائحتها الداخلية وانما يجوز للنظار أن يبدوا فيها آراءهم بصفتهم أعضاء الجمعية لا أعضاء الحكومه

حكم الفقيد فى مركز الوزير

رب فعل يصفه الوزير وهو فى مركزه السياسى بانه ثوروى ولو كان فى مركز القضاء لا زعجه أن يوصف هذا الفعل بمثل هذا الوصف

اعترف اني وأنا وزير قد عملت بحسن نية واخلاص عملا لو عرض على اليوم لكنت أول المعارضين فيه . فقد عرض على قانون المطبوعات فعارضت فيه أولا ثم لم ألبث أن وافقت عليه واشتركت فى تطبيقه لظروف بررتها فى ذلك الوقت امام نفسى وها أنا اليوم نادم على ما فعلت بالامس

كنت قاضيا وكنت وزيرا وها أنا اليوم عضو بدكم في الجمعية التشريعية . وأحس من نفسي بان شعوري كان يختلف باختلاف تلك المراكز جميعها واني ربما كنت أرى الرأي فى حالة ثم أرى غيره في حالة أخري . ومع ذلك فقد كنت حسن النية فى جميع الحالات فلا تهولنكم أشخاص الوزراء ولا الفضل الذى تعرفونه فيهم فقد تتغلب عليهم مراكزهم فيعملون بحسن نية مايظنون ان فيه فائدة للامة وهو ليس كذلك

حكم الفقيد على التشريع

يظهر لى أن العدالة الحقيقية لم توجد حتى اليوم فى أي قانون من قوانين العالم وانما تتفاضل القوانين فيما بينهـا بالعدالة النسبية

كل شريعة تؤسس على فساد الاخلاق فهى شريعة باطلة

لا أجيز التحكم فى ضمائر القضاة بل أري أن تترك الحرية لهم ليحكموا بحسب زعمهم واعتقادهم

لاجل أن يعدل قانون من قوانين العقوبات يجب التيقن أولا من أن العقوبة التى نص عليها فيه قد أصبحت غير صالحة بعد بذل جميع الوسائل في ذلك

لا تصدقوا أن هناك قاعدة يرجع اليها القاضى فى تقدير العقوبة أو ان هناك ميزانا توزن به الجزاءات وانما هي أمور اجتهادية يلهم بها القاضى الهاما

لا يجب أن ننقاد لعواطفنا فننظر لمصلحة المتهم فقط عند وضع أى قانون من قوانين العقوبات . بل يجب أيضا أن ننظر لمصلحة العدالة والهيئة الاجتماعيه التى نحن جزء منها

ان القاضى بصفته قاضيا هو عادل . أما مجلس النظار فاليوم الذى يصبح فيه محكمة عرفيه أو محكمه مخصوصة و محكمة اداريه ونحن لا نثق بأحكام تلك المحاكم

السياسة اما أن تكون مضرة بالامن العام فهنا هو القضاء نتولى الفصل فى جرئها والا فهى مباحة للافراد فلا

فائدة من اتخاذ حيطة جديدة لها وقوانيننا الجنائية والحمد لله كفيلة بمعاقبتنا على كل شيء حتى على خواطرنا التي تختلج في نفوسنا بل علي افكارنا التي ربما نفتكرها فى المستقبل

انى أقبل أن أحاكم أمام قاض صغير من قضاة المحاكم الجزئيه في شرفي وعرضي ومالي خير لى من أن أحاكم أمام ذلك المجلس الكبير مجلس النظار فى أهون الاشياء وأصغرها. لان أعضاؤه وان كانوا بصفتهم الشخصية رجالا قانونيين ولكنهم قبل ذلك رجال سياسيون وأخشى أن تتغلب فيهم صفة السياسة على صفة العدالة والسياسة كثيراً ماتدوس الحقوق والواجبات

حكم الفقيد عن الحرية

كل أمر يقف في طريق حريتنا لا يصح أن نقبله مطلقا مهما كان مصدره عاليا ومهما كان الآمر به

* * *

كل تقييد للحرية لا بد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها وإلا كان ظلما

* * *

قد عاهدت الله منذ نشأت على أن أصرح بما في ضميري وهذه هي لذتي في حياتي

* * *

الصحافة حرة تقول في حدود القانون ما تشاء وتنتقد ما تريد . فليس من الرأي أن نسألها لم تنتقدنا بل الواجب أن نسأل أنفسنا لم نفعل ما تنتقدنا عليه

* * *

نحن نحب الحرية ولكننا نحب أكثر منها أن تستعمل في موضعها

جميل جداً أن يقال لا تحجروا على الناس ولا تقيدوا حريتهم وانها لنغمة لذيذة يحسن وقعها فى الاسماع والقلوب . ولكنا لا نريد الحجر على الناس ولا تقييد حريتهم بل نريد حماية الحق وصيانته من أن يتمتع به غير صاحبه من حيث يحرم منه صاحبه

* * *

قالوا انني أقصد من المعارضة الحصول على مركز سام فى الحكومة وليس ذلك بصحيح لانى أعلم أن معارضتى وشدتى فيما مضي كانت هي السبب في بعدي عن تلك المراكز السامية فلا يمكن أن أتخذها اليوم وسيلة للحصول عليها . على أن اعظم مركز تطمح اليه نفسى هو مركزي الذى أنا فيه اليوم لانه المركز الذى استطيع أن اتمتع فيه أكثر من غيره بالحرية التامة في ابداء آرائي التى أراها فى مصلحة بلادي

حكمه في التمسك بالمبدأ

سواء لدي نجحت أم لم أنجح فاني لا أخطب في الجمعية التشريعية وحدها بل فى الامة جميعها ولا أخاطب الحاضر وحده بل المستقبل أيضا

اني أفضل أن اكون عضوا بسيطا في جمعية تحافظ على حقوقها وتحترم كرامتها من أن اكون وكيلا أو رئيسا لجمعية تتهاون فى حقوقها ولا تحفظ كرامتها

* * *

انى رجل قد وطنت نفسي على الدفاع عن الحق وأن أتحمل فيه كل مكروه ولو كان آتيا من الذين أدافع عنهم

* * *

نحن قوم مسالمون لا مشاغبون فاذا اشتد دنا نشتد لان الحق يطلب منا ذلك واذا سلمنا نسلم تسليم الاحرار لا تسليم العبيد

* * *

لم أرسم لنفسي فى الجمعية خطة معارضة الحكومة ولا مسالمتها . وانما رسمت خطتي مع الحق نفسه . فان رأيت أن الحكومة تؤدى واجبها حق الاداء وتقوم بالمسئولية الملقاة على عاتقها نحو الامة حق القيام كنت أول المسالمين لها والواقفين بجانبها . وأن رأيت أنها تعمل على خلاف ذلك وهو ما لا أريد تصوره فانى لا أتردد في ان اكون أول المعارضين لها

نحن لا نريد مطلقا غلبا او بغيا ولكنها حقوق اعطيت لنا ولا بد لنا من المطالبة بها فلا يحل للحكومة ان تسمي المطالبة بالحقوق مشاغبة او مشاكسة لان هذا حرام عليها وبعيد عن قصدنا

* * *

ليست وظيفتي ان ارضي بكلامي بل وظيفتي ان أقول ما يجيش بصدري وما اراه نافعا لبلادي ولا شأن لي بعد ذلك بالغضب او الرضا

حكم الفقيد في احترام القانون

نعم امر الرئيس ولكن القانون قد امر ايضا وهو الذي يجب ان يطاع

* * *

يجب ان ننقاد للقانون وان لا نعتبر الانقياد اليه مهانة ومذلة بل عزا وشرفا

من اراد ان نخضع له و نذعن اليه و نتجرد امامه من قوتنا وشجاعتنا فليس بينه وبين الوصول الى ذلك الا ان يعمل عملا واحدا فقط وهو ان يحترم الحق والقانون فنخر له صاغرين

* * *

ان كانت الحكومة تريد ان تكون فى صفها مدافعين عنها اذا عليها الا ان تتبع الحق والعدل وتحترم القانون

حكم الفقيد فى الاخلاق

يعجبني الصدق في القول والاخلاص فى العمل وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون

* * *

يقولون لنا أنكم لاتستطيعون أن تصلوا الى الكمال التام . نعم ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نعمل لنصل الي الكمال الممكن

* * *

كم من رأي يسمعه العاقل فيراه مخالفا كل المخالفة لما قام في نفسه بل ربما اعتقد انه رأي سخيف أو ساقط أو مستهجن

ومع ذلك لايري بأسا ان يصغي اليه ويحترم قائله ويجادله بالتى هى أحسن . وكذلك يجب أن يكون شأننا فيما بيننا وشأن الحكومة معنا

* * *

ان من الناس ناسا اذرأوا ضاربا يضرب ومضروبا يبكي قالوا للباكى لاتبك قبل ان يقولوا للضارب لاتضرب وهو منتهي مايتصور من الظلم والحيف

* * *

الذي يلزمنا ان نفاخر به هو اعمالنا فى الحياة لا الشهادات التى فى ايدينا

* * *

لايكفي ان يتخرج التلميذ من المدرسة لينال الثقة بين الناس بل لابدان يتعلم ايضا فى مدرسة العالم لينال الثقة العامة التى يريدها

* * *

كلما كان الشيء واضحا كان البحث فيه موجبا لغموضه واذا اردنا ان نحدد معني الضوء والظلام انتهي بنا الامر الى

أن لا نعرف معناها

* * *

ما انا بسباب ولا شتام واني اقر واعترف بأني لا املك في هذا الميدان قوة استطيع بها ان اقاوم أضعف انسان

* * *

يجب أن نعترف بانا نتفاضل فيما بيننا وأن كنا في الاعتبار القانوني سواء

* * *

نحن لسنا محتاجين لكثير من العلم ولكنا محتاجون لكثير من الاخلاق الفاضلة

حكم الفقيد الوطنية

الارادة متى تمكنت من النفوس وأصبحت ميراثا يتوارثه الابناء عن الآباء ذللت كل صعب ومحت كل عقبة وقهرت كل مانع مهما كان قويا ووصلت عاجلا أو آجلا الى الغاية المطلوبة

* * *

لا يمكن أن نعتبر للحكوميين مذهبا الآن المذهب يقتضي

مبادىء وقواعد . أماهم فقاعدتهم القوة . وما يعتمد على القوة لا يصح أن يسمى مذهبا

* * *

ماأنا بقائد للامة كما يقولون وما أنا من ورائها بل هي التي من ورائي . ولا فضل لي الا كوني ترجمان صدق أحسن التعبير عن شعورها فاذا انحرفت عن ذلك قيدشعرة اهبطتني من منزلة اعتبارها الى مكان سحيق من احتقارها واكون مستحقا لهذا الاحتقار

* * *

افتخر بان اكون علي رأس أمة حية شاعرة مفكرة وهي منزلة لا ينبغي لرجل ان يطلب لنفسه أعلى منها

* * *

اعاهدكم عهداً لا أحيد عنه على اني أموت في السعى الى استقلالكم فان فزت فذاك والا تركت لكم تتميم ما بدأت به

* * *

لا يمكننا أن نقبل هذه المراقبة التي تؤول الى أن يكون لانكلترا حق شائع في سيادة مصر الداخلية والخارجية . ولو

ان الامة المصرية بأجمعها قبلته ماقبلته مطلقا

« * »

اطمئنوا على موقفنا فسنثبت فيه الى النهاية . فان لم نبلغ الغاية التي نريدها فلكم أنتم ان تعملوا على بلوغها وتكون ثمرتها لكم ولاولادكم ويكون لنا فضل اننا ضربنا احسن الامثال لمن بعدنا

* * *

ان الوزارات المصريه فى عهد الحمايه لا تمثل الامه قط لاحقيقة ولا حكما بل تمثل الحمايه المضروبة على الامة

« * »

ان مهمتى فيكم هي ان أفضح كل مايقع من خديعة وغش لكم وأن يسير كل أمر طبق ارادتكم فاذا تمكنت من ذلك فحسبي . والا فقد قمت بواجبي

« * »

لنترك هولاء النفر المساكين المسجونين فى سجون وظائفهم فانهم ليسوا اهلا لخصومتنا

« * »

لا اريد ان اكون موضع خوف بل موضع احترام

« * »

يجب ان يسقط من حساب الامة هؤلاء الاشخاص الذين يعضدون كل حكومة ويشايعون كل دولة ويعبدون القوة في اى مظهر ظهرت

« * »

ان الروح التى اودعها الله قلب هذه الامة لاتقوى على مغالبتها احكام عرفية ولا استبداد مستبد ولا قوة قوى لان الاستبداد انما يقع على الاجسام . اما الروح فهى بعيده عن متناول يده

« * »

لا اريد انشقاقا بل اتحادا ولكن ليس من الدعوة للاتفاق دعوة الامة للانضمام الى الخوارج عنها بل يجب دعوة هؤلاء الخوارج الى الانضمام الى امتهم . وهذا هو السبيل الطبيعى للاتفاق

« * »

لا استعباد. لا استعمار. لا حماية لا رقابة. لا تداخل لأحد

في شأن من شؤوننا . هذا ما نريد وهذا ما لا بد أن نحصل عليه لاجل أن نصل الي غايتنا الشريفة يجب أن نعمل وأن نجد ويلزم أن نموت عند الاقتضاء

« * »

يجب لاجل نجاحنا أن تجتمع لنا جميع عناصر القوة اعتقاد جازم بعدالة قضيتنا انبعاث روح التضحية في كل نفس غرض واحد نسعي اليه. اتجاه واحد . لا يتأخر منا متأخر ولا يتقدم متقدم . بل يجب أن يكون الكل معا الى الامام

« * »

أن قوتنا ليست مستمدة من الخارج بل هي في نفوسنا فلتكن نفوسنا قوية نصل الى غايتنا

« • »

أعتقد تمام الاعتقاد اني لست خالقا لهذه الحركة الوطنية ولكنني ابنها وثمرتها

« • »

أقسم بالوطنية وعزتها لو كنت أعرف اني أقود أمة بلهاء

تنقاد لكل زعيم بدون تصور ولا ادراك كما يصفها أعداؤها
مارضيت أن أكون قائداً لها

حكمة الفقيد الوطنية

اني هنا موكل من الامة المصرية فى السعي للحصول على استقلالها وليس لغير الامة أن تقلني من الوكالة وللقوة تفعل فينا ماشاء افراد وجماعات

« • »

اخر كلمة فقيد الامة

فى الساعة الثامنه الا ثلثا من صباح يوم الثلاث ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ وقفت السيدة الجليلة الباسلة أم المصريين عند فراش زوجها صاحب الدوله سعد باشا وقد استجمعت كل ما اوتيت من رباطة جأش بل ومافوق طاقة الانسان من جلد ثم سألته فى رفق يحجب حزنا وألما لاحد لهما (كيف حالك ياسعد) فاجابها وهو مغمض العينين (انا انتهيت) فمرت بيدها مرورا خفيفا ملؤه الحنو فوق كتفه وقالت (بل أنت بخير) فقال مرة ثانية بصوت خافت ظهر فيه الضعف عن المرة الاولي (انا انتهيت) وكانت هذه آخر كلمات سعد باشا في الحياة

وبعد ذلك كان الضعف قد أخذ منه مأخذه واشتدت عليه وطأة المرض فلم يعد يقوى على الكلام وانه كان قدفقد النطق ثم غاب بعدذلك عن الوعي الى ازفأ جاءه قضاء الله في الساعه العاشرة الاربع تماما بعد مرض لم يتجاوز ثمانية أيام

كيف علم الناس خبر موت سعد باشا

في نحو الساعه التاسعة والدقيقه الخامسة والعشرون نزل الاطباء من عند الرئيس واختلوا في قاعة المكتب الصغري لاصدار نشرتهم واجتمع بهم معالي فتح الله بركات باشا ونجله بهي الدين بركات بك ثم خرج وزير الزراعه أشد تأثراً وانقباضا مما كان عليه وبعد ذلك طالت مناقشة الاطباء بخصوص صحة الرئيس ومامرت خمسة وعشرون دقيقه اخري

جاء أحد الاطباء فطلب بهي لدين بركات بك وجاء ثانيا فطلب الدكتور شفيق بك وعلى الاثر سمعنا بكاء

فطأطأ جميع الزوار رؤوسهم وأدركوا أن قضاء الله قد نفذ وأن الامة قد نكبت في زعيمها وأن سعدا اسلم الروح بين يدي حرمه الكريمة ومعها شقيقتها وكريمتها وارتفع البكاء في جميع جوانب بيت الامه . وكان من الزوار الكثيرين من الشيوخ والنواب وفي الحال ارسل صاحب الدولة توفيق نسيم باشا رئيس الديوان الملكي تلغرافا الى حضرة صاحب الجلاله الملك وارسل معالى جعفر ولي باشا تلغرافا الى دولة ثروت باشا . وارسل معالي فتح الله باشا بركات تلغرافات الى

الخارج . وفي الحال ارسلت البرقيات واشارات تليفونيه الي جميع انحاء البلاد منبئة نعي الفقيد الراحل

مذكرات وصيفة مصرية

ستحتجب عن القراء حدادا على فقيد الامة العظيم صاحب الدولة المغفور له سعد زغلول باشا يومى الاربع و خميس — وتوزع للقراء صباح يوم الجمعة ٢٨ اغسطس سنة ١٩٢٧

مذكرات وصيفة مصرية

سلسلة حوادث أخلاقية أدبيه حصلت وقائعها المدهشة بين جدران المنازل والقصور وعماد الدين وروض الفرج وتحارب الرذيلة أشد محاربة ، وهي مذكرات حقيقية دونتها السيدة زينب محمد من حياتها الخاصة وقت ماكانت تشتغل في حرفة وصيفة.

وصدر منها الي الآن سبعة أعداد وثمن العدد خمسة مليمات وتطلب من جميع المكاتب وباعة الجرائد والكتب بميادين العاصمة ومن ناشرها . محمد افندي مرسي حسين

مدير مكاتب النشر والتأليف بدرب المهابيل قريبا من العتبة الخضراء بمصر